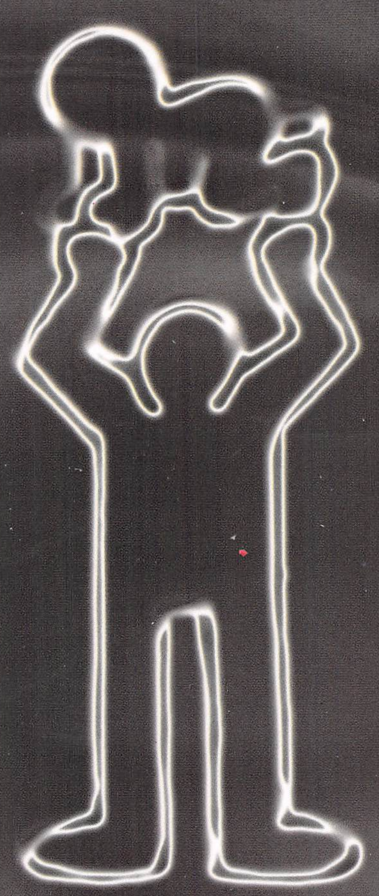
المركز القومى للترجمة



الرجل و الطفل



تأليف: أرتور أداموف

ترجمة: زبيدة القاضى

مراجعة وتقديم: صفوان صفر

1149



يضم هذا الكتاب مذكرات على كل قارئ يريد أن يفهم مسرح أداموف الصعب أن يقرأه؛ إذ يسمح بالتعرف على عالم أرتور أداموف الشخصى، وأفكاره الاجتماعية والسياسية وعلاقاته مع كتّاب ومثقفى عصره، بالإضافة إلى أنه يحتوى تحليلاً لعدد من مسرحياته.

الرجل والطفل

المركز القومى للترجمة
المشروع القومى للترجمة
إشراف: جابر عصفور

- العدد: ١١٤٩
- الرجل والطفل
- أرتور أداموف
- زبيدة القاضى
- صفوان صفر
- الطبعة الأولى ٢٠٠٨

هذه ترجمة كتاب
L'Homme et l'Enfant
D'Arthur ADAMOV

شارع الجبلاية بالأوبرا - الجزيرة - القاهرة ت: ٢٧٣٥٤٥٢٤ - ٢٧٣٤٥٤٢٦
فاكس: ٣٧٣٥٤٥٥٤

El Gabalaya St. , Opera House, El Gezira, Cairo
Tel.: 273545424 – 27354526 Fax: 27354554

الرجل والطفل

تأليف : **أرتور أداموف**

ترجمـــة : **زبيدة القاضي**

مراجعة وتقديم : **صفوان صفر**



٢٠٠٨

بطاقة الفهرسة

إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

أداموف ، أرتورد.

الرجل والطفل/تأليف : أرتورد أداموف ؛ ترجمة : زبيدة القاضى ؛ مراجعة وتقديم : صفوان صفر ، ط ١ – القاهرة : المركز القومى للترجمة ، ٢٠٠٨

٢٠٨ص ؛ ٢٠ سم، المشروع القومى للترجمة

١ – أداموف ، أرتورد - المذكرات

أ - القاضى ، زبيدة (مترجم)

ب - صفر ، صفوان (مراجع ومقدم)

جـ – العنوان ٩٢٠

رقم الإيداع ٤٠٨٦ / ٢٠٠٨

الترقيم الدولى : I.S.B.N - 977- 437- 636 - 6

طبع بالهيئة العامة لشئون المطابع الأميرية

الفهرس

" اتركونى إذًا، أقرر ما الذى يمكن أن يساعدنى على الحياة ".

بول إيلوار

مقدمة

مريضًا، أحسست بالحاجة لكتابة مذكراتى.

لماذا قدمت المذكرات على اليوميات ؟ لأن ذلك يلائمنى أكثـر، وخاصة فى تلك الحالة التى أجد نفسى فيها فى شـهر كـانون الثـانى (يناير)، وقت خروجى من المستشفى، التى كانت تدفعنى للنظـر إلـى الخلف.

كان ضياء الماضى حتى الآن أقل اتقادًا من ضياء الحاضر، ومن تلك الفجوة القاتمة التى كنت بالكاد أخرج منها. ولكن، آمل ألا نرى فى هذا الكتاب أية صورة أمينة لما أنا عليه.

من البدهى أننى لم أتذكر إلا الأحداث الأكثر سوداوية، وأن حيزًا كبيرًا من حياتى لن يظهر هنا.

هنا..، قليل جدًّا من اللهو، قليل جدًّا من الملذات الحقيقية، والعديد من الصور ذات المظهر العنيف المتحيز، وذلك لأنه فى اللحظات التى ينعدم فيها حتى الزمن، يبقى هنالك يقين يفرض ذاته : هو أن تحيا !

ذكـــريـــات

الجزء الأول

مرحلة الصبا

الفصل الأول

الطفولة الأولى

ولدت فى كيسلوفوتسك (القوقاز) فـــى ٢٣ آب (أغـــسطس) ١٩٠٨. كانت تملك أسرتى نصيبًا كبيرًا من بترول بحر قزوين. ولـــم يمنعنى ذلك منذ كنت فى الرابعة من عمرى، مـــن الارتجـــاف خوفـــا لمجرد أن تخطر فكرة الفقر على بالى. لطالما قيل لى أننى كنت أذهب للاحتماء بين ثنايا تنورة جدتى [١] الحريرية نائحا"، مرددًا : " لا أريـــد أن أكون فقيرًا، لا أريد أن أكون فقيرًا."

فقيرًا، لقد أصبحت تقريبا". وأنا هنا لا أتحدث عن الثـــورة التـــى دفعت عائلتى إلى الإفلاس، ولكن عن كسلى، عن إهمالى المتكـــرر : الضرائب المنسية التى لم تدفع أبدًا، والتأخير من كل نوع، وهـــذا مـــا دفعنى، يافعًا، إلى تلك الحالة من الفزع المبكر. ومأساتى الأخرى، كان من الممكن أن تكون – أنا أكذب هنا، بل كانت – هى أننى لا أريد أن

---

(١) جدتى لأبى، كنت أفضلها على جدتى لأمى لأنها كانت أقل جفاء وأكثر تأنقا بخاصة.
(كانت عائلة أمى مقارنة بعائلة أبى فقيرة، مؤلفة بقسمها الأعظـــم مـــن أطباء ومحاميين، كانوا كلهم ليبراليين، يطالبون بمجلس الدوما.)

أكبر. ليس مصادفة أن أكون وجدت كل تلك الصعوبة في التصرف كرجل وأنا في عمر الرجال.

لقد أردت الانتحار وأنا في العشرين، ثم في الثلاثين، وبعدها قبل بلوغ سن الأربعين.

يقال أيضا إنني عند ولادتي تمتمت بشيء يشبه كلمة أرمنية هي (inghe) وتعني : في أي ثقب سقطت هنا ؟

نسيت أن أقول إن عائلتي من أصل أرمني، وأنا نفسي تكلمت الأرمنية بعض الوقت.

لا أذكر الكثير عن باكو حيث كان يعيش والداي. ومع ذلك فما زلت أرى تلك الشوارع الفسيحة بأشجارها النحيلة المتباعدة بعضها عن الآخر، وعمال المرفأ المسلمين بأظافرهم المتشققة الملطخة بالأصباغ، وصدورهم العارية، والبحر الملوث.

المذابح. صغار التجار الأرمن، حذاؤون، خياطون، تجار ألبسة بالية، اللاجئون في بيتنا، وقد تكدسوا على أدراج السلالم.

لم يكن الأكراد ليخاطروا بالاقتراب من البيوت ذات المصاعد التي يسكنها الأغنياء.

أتذكر أبي في عربة تجرها الخيول، وقد جرح من قبل أعضاء الحركة القومية الأرمنية (داشناك). لم يكن يدفع التزاماته !!

لقد جاء أبى خصيصًا ليرانى، ويخبرنى بأن عضوى الذكرى كان صخرة سوداء، وكان ذلك يعنى أننى كنت أستمنى، وأننى إذا ما تابعت ذلك فسوف أصاب بالجنون.

أعضاء (داشناك) _ هم دائمًا _ يهددون باختطاف أختى.

صار أحد القوقاز العاملين بالأجرة يلازمها ويحميها.

لقد عشت السنوات الأولى من عمرى محاطًا بحشد من الخدم، فمربيتى أرمنية، ومعلمتى فرنسية، ومرضعتى (ماشا) التى كان لها عين خضراء والأخرى زرقاء، وفى نهاية المطاف أختى التى أصنفها من الخدم، دون شك لأن أمى كانت تفضلنى عليها !

كانت مربيتى (نيانيا) تقص على حكايات لا أقوى بعدها على النوم. أما أختى، فكانت تفزعنى أكثر، إنها هى التى أقنعتنى بأن غرفتى تحتوى مناطق عدة، وبأن لبعضها تأثيرًا شريرًا وعلى ألا أتخطاها مهما كلف الأمر.

لم أكن أجرؤ على الاقتراب من النوافذ، أو من جهاز التدفئة، أو حتى النظر تحت سريرى.

وإذا تجاوزت تلك الموانع ستكون نهايتى.

لا أدرى فى أى سن فطمت، على كل حال حدث هذا فى وقت متأخر.

فى كل ليلة يقترب منى مخلوق صغير أشبه بالقزم ليصرعنى، أطلق صرخة ثم أصحو. لقد كانت ماشا تأخذنى بين ذراعيها وتعبر متاهات الغرف فى بيتنا، التى كان بعضها أسود، خالٍ، والبعض الآخر ملىء، مكتظ بضيوف المساء الذين أكلوا وشربوا ولعبوا الورق، ولكنهم لم يقرروا المغادرة بعد.

كان الأمر ينتهى بى فى سرير أمى. هنا يبرز دور القزم الحقيقى، فيتحقق الهدف المنشود.

مازلت أتذكر أمى، كما رأيتها مؤخرًا فى إحدى الصور، بشعرها الأسود والأملس، وأنفها الإغريقى، ووقفتها الوقورة.

ولكننى أتذكرها أيضًا وهى تَركض كالمجنونة فى القطار، بين طرفى عربة المطعم لتتأكد من أن النادلين لن يحضروا لى إلا عصيدة البطاطا دون زبدة أو ملح. لقد كانت تعزو لى مرضًا فى المعدة، المرض ذاته، بالطبع، الذى كانت تعزوه لنفسها.

حزيران – يونيو ١٩١٤. نحن راحلون إلى ألمانيا.

لقد كان أبى من قرر ذلك، هكذا سيكون متأكدًا من عدم الانقطاع عن أعماله، بأن يقامر كل ليلة. إنها ألمانيا عالم دوستويفسكى والكازينوهات.

آب – أغسطس ١٩١٤. الحرب تفاجئنا ونحن فى فندق فى (الغابة السوداء). كانت إحدى النزيلات، وهى أمريكية شابة فى

الثامنة عشرة من عمرها، حمراء الشعر ذات ساقين نحيلتين، تستلذ بتعذيب قطة. وفتاة أخرى، إنجليزية؛ فى السابعة عشرة، شقراء، تأخذ القطة بين ذراعيها وتراضيها وتداعبها، تستعيد الأمريكية القطة، تعقف لها أذنيها، فتعود الإنجليزية لتنتزع القطة من الأمريكية وتغمرها بالقبل...

كانت اللعبة تستمر لساعات طويلة. أما أنا فكنت أرى ذاتى فى القطة !

ولأننا كنا نحمل جوازات سفر روسية، فقد قرر والدى الهروب من ألمانيا خشية الاعتقال.

فى القطار، القلق يعترى والدتى رغم احتفاظها بمظهرها كسيدة مجتمع، تسأل ضابطًا ألمانيًا : " إنكم لن تمروا فى الأراضى السويسرية، أليس كذلك ؟ " فيطمئنها الضابط. إن الجبال هى التى ستحول دون ذلك.

نصل إلى (كونستانس) فى عربة ملك (فورتمبيرغ) الذى كان أحد معارف والدى، إذ لم يكن القطار يصل إلى المدينة.

الفصل الثاني

سن المراهقة

جنيف ١٩١٤- ١٩٢٢

كيف يحدث أننى أتذكر بشكل سيئ جدًّا السنوات الثمانية التى قضيتها فى بلاد (الهيلفيتيين) ؟ وذلك الكره الذى كنت أكنه لها، والذى ما زلت أحتفظ به على كل حال ؟ لا تفسير مقنع !

إنه دون شك الطفل الذى كنته آنذاك والذى يدعونى للنفور، طفل المرحلة الانتقالية بين الطفولة الأولى الأسطورية، وسن البلوغ؛ اكتشاف العالم.

ذكرياتى الوحيدة تأتى بعد ١٩١٦.

سنتان من فقدان الذاكرة الكلى.

١٩١٦، أدخل مدرسة (روسية)، وهى مدرسة خاصة طبعًا. هل يمكن تخيل والداى وهما يرسلاننى إلى مدرسة حكومية !... ثم ماذا أيضًا ؟ !

كنت الأول فى مادة التاريخ، والأخير فى الرياضيات، غائبًا يومًا كل يومين.

أعقد صداقة مع جورج ديكير، وهو يهودى روســـى، ويقـــال إن لينين كان يأخذه بنزهة فى عربة الأطفال إلى حدائق (الباستيون)، إنه طبيب الآن، أحد المدعومين. آخر يدعى ميليـــديس، مخلـــوق صـــغير موهف الإحساس، كان ينوى الانتحار فى العشرين من عمره.

ميليديس الذى كانت شقيقاته فـــى القـــسطنطينية يطلـــين وجهـــه بمساحيق التجميل ويجعلنه يتنكر فى زى الفتيات ويأخذنه إلـــى حمـــام النساء، كان يصنع دمى من القماش ويعطيها أوضاعًا موهنة فى أغلب الأحيان.

كانت والدة ميليديس بدينة، ويداها مليئتين بالخواتم، وفى وســـط جبهتها بقعة من آثار حرق.

كانوا يدعوننا بالقردة، ويتهموننا بأكل خبز الشعب السويـــسرى، فقد وصلت بهم كراهية الغرباء إلى درجة الصلف.

فى إحدى الأمسيات، قرأت وديكير علـــى واجهـــة محـــل فـــى (كوراترى) الجملة التالية : " هنا تجمع التوقيعات ضد الأجانب. "

وبثورة من الغضب، حطمنا الواجهة وهربنا على دراجتينـــا دون أن نلقى عقابًا.

كنت شغوفًا بالمثيولوجيا الإغريقية. أولعت بـــ (بيرســـيفون) عندما قطف الزهرة الدامية، ثم انشقت الأرض تحت قدميه وطوته.

كنت موضع فخر لأمى.

ابتكرت مخيلتي شخصية جندى بريطانى (تومى) ــ فأنا مــن محبى الإنجليز ــ كان هذا الجندى يأخذنى بين ذراعيه، ويرفعنى فوق كتفيه، فألهو معه. لم أعد أتحدث إلا عنه.

و لكن لم يكن لهذا الجندى وجود. وكانت أختى من اكتشف هــذه الخدعة.

هكذا كانت الحياة فى ذلك الحى الأرمنى الوسخ فى جنيف.

كانون الأول ــ ديسمبر ١٩١٥، نشر فــى سويــسرا بيــان " رومان رولان " : (فوق المعمعة) قرأته أمى باحترام.

نيسان ــ أبريل ١٩١٧. تعلن الولايات المتحدة الحــرب علــى ألمانيا. تدخل جنيف فى حالة هياج وحماسة. تظهر صــورة نيلــسون على أغلفة السكاكر بطعم التوت البرى.

تــشرين الثــانى ــ نــوفمبر ١٩١٧. تنــدلع الثــورة فــى بطرسبورغ. يستلم البلاشفة زمام السلطة.

١٩١٨. يجتاح الجيش الأحمر القوقاز. تؤمم آبارنا.

الهدنة. يخرب الوطنيون فى جنيف مصنع الــملابس الــجاهزة (غروش أوند غراف) ظناً منهم أنه مؤسسة ألمانية، وهو فى حقيقــة الأمر، ألمانى سويسرى مشترك.

يصيبنى فيلم إنجليزى مأخوذ عن رواية " الدكتور جيكل والسيد هايد " بالهلع، وبخاصة لك المشاهد التى يقوم فيها الدكتور جيكل بتغيير وجهه ليصبح الشخص الآخر.

كنا آنذاك، نعيش من بيع مجوهراتنا قطعة فأخرى، يومًا بعد يوم. إن حزننا على تلك المجوهرات التى تتضاءل باستمرار سوف يتلاشى

أتذكر سوزان، الفتاة الصغيرة ذات الشعر الداكن والبشرة الناصعة البياض، التى كنت ألهو معها، وأقبلها تحت الأشجار.

و دانييل س..، فى الرابعة عشرة من العمر تقريبًا، بعينيه البراقتين المتوجتين بخصلة كستنائية اللون.

ذات يوم، خلال سباق دراجات نظمناه، كان علينا أن نهبط شارع (الإسكالاد)، شارعنا، على الدراجات دون أن نمس المقود. فوقعت، ووجدت ركبتى العاريتين المحمرتين الملطختين بالدم، ممددتين على طاولة الدكتور " كلوزو ".

أشعر بالخجل وبلذة غريبة.

كانت عائلو (بيتوئيف) من أصدقاء والدى.

كنا نذهب معًا إلى العرض الأول لكل مسرحية جديدة فى مسرح (بلانياليه)، حيث كان (جورج بيتوئيف) يحاول أن يمثل.

كان آل بيتوئيف يقدمون مسرحية (ماكبث)، وكان الممثلون يحملون فى أيديهم أغصان أشجار حقيقية. إنها الغابة تمشى، وهذا بالنسبة إلىَّ أول ذكرى مهمة عن المسرح.

بدأت أشعر بالخجل من أبى، ففى إحدى الاجتماعات التى ضمت بخاصة عائلة بيتوئيف، يجرؤ أبى، ويده فى جيب صدارته، على التبجح قائلاً : " أن تكون أو لا تكون " !.

لم أعد أدرى كيف أتوارى عن الأنظار.

ظهور عمى (س) فى جنيف، قادمًا من لوزان حيث كانت صديقته، وهى راقصة انجليزية، تنتظره. يبدو أنها هى التى نقلت عدوى السفلس إليه.

نقل إلينا (س) خبر موت اثنين من أعمامى، كان أحدهما متطوعًا فى جيش (كولتشاك)، والآخر فى جيش (دينيكين).

يا له من تخطيط !

كما أخبرنا أنه فى عام ١٩١٦ قامر فى لعبة ورق على حصته من آبار البترول، فخسرها كلها. ثم جاء يطلب المعونة من إخوته، فقالوا له : " كيف استطعت أن تقامر بآبارك ؟ قد يقامر المرء ببيوته، وبخيوله، وببواخره ــ إذ كنا نملك بواخر فى بحر قزوين ــ ولكن ليس بآباره. "

" هذا صحيح، ولكن، هذا ما حصل، لقد قامرت بها... "

تعاطف الأخوة معه، ولم يعد (س) يعرف الإملاق.

بعدها يضيف : " كم ضحكت عام ١٩١٨عندما خسروا آبارهم هم أيضًا، دون أن يفعلوا شيئًا كالأغبياء ".

لقد استنفدنا تقريبًا كل أموالنا، فأصبحنا مضطرين للرجوع إلى ألمانيا جنة البؤساء.

الفصل الثالث

ممزقًا، فرحًا

١٩٢٢ ــ ١٩٢٤. تزود ألمانيا المهزوزة تحت الاحتلال كل أوربا بالجياع والطفيليين. ها نحن فى مدينة (فايس بادين) حيث سجلت فى المدرسة الفرنسية فى (مايانس).

يتخذ اللوطيون من شارع (فيلهالم شتراسى) مقرًا لهم، وهم يحومون حولى صغيرًا، بسروالى القصير.

لا أمارس الجنس مع الرجال، لست متيمًا إلا بنفسى. إنها مرحلة النرجسية التى ستمتد طويلا. أخلع حذائى وأدعس على دواسة الدراجة بقدمين عاريتين، فأشعر بالسعادة وباطن قدمى ممزق.

أشرع فى كتابة قصة تتحدث عن شاب فى الرابعة عشر، يتوجب عليه حتى يصل إلى فتاة فى السادسة عشرة أن يجرح نفسه بالأغصان، وأن يتدحرج على الأشواك.

يجبرنى فيكتور آ. الذى أصبح صديقى، على مراقبة غلام، ابن عسكرى فرنسى، كان يهيم به حبًا، ولم يكن يجرؤ على توجيه الكلام إليه. كنا ننتظر الساعات الطوال أمام القاعة التى يتناول فيها صف

الضباط طعامهم، لنلمح مخلوقًا صغيرًا منطفئ النظرات منتفخ الأوداج، بركبتيه العاريتين الوسختين يمر أمامنا.

لا أشعر بميل إليه، ولا لأى إنسان آخر سوى نفسى.

أقوم باكتشاف مغطس الحمام حيث المياه تغلى، والرأس يدور، وتصبح البشرة حمراء قانية، والألم يطغى، أزيح بيدى البخار الملتصق بالمرآة وأمارس العادة السرية.

شارع (فيلهالم) حيث تتضاعف مكاتب الصيارفة، ويتوقف حشد من الناس هلعين، وقد اكتظت الأرصفة بهم حتى الشوارع فتعجز السيارات عن المرور. كانت مئة ألف مارك تساوى فى أحد الأيام عشرة فرنكات، وعشرة قروش فى يوم آخر.

فى صالة السينما، أجلس فى مقصورة ملكية بجوار ابنة ضابط، " جانين فيل ". أريد أن أمسك ذراعها ولا أجرؤ، فأمسك فقط بكم معطفها بحب وأضمه إلى صدرى.

لا أجد أية رغبة فى تقبيل قدميها. ثمة فصام مطلق بالنسبة إلى بين الغلمة وبين كل ما يمكن أن يشبه الحب من قريب أو بعيد.

التقيت بـ " أوديت فيل "، شقيقة جانين، مرة أخرى منذ سنتين فى عيد الأممية. كانت شيوعية آنذاك.

أرتنى، وهى تنفجر ضاحكة، رسالة الحب المكتظـــة بالأخطـــاء الإملائية التى أرسلها إليها أحد الممثلين المبتدئين غيـــر المعـــروفين " بيار براسور ".

أمضى ليلة من كل ليلتين بحثًا عن والدى فى الكازينو وإحضاره. كانت أمى تأمرنى بذلك، وكنت أطيع. كم كنت أكره هـــذا الكـــازينو، وذلك السلم الذى يصعد حتى صالة القمار، وذلك البواب الممتقع الوجه الذى لا مناص من المرور به ! وأخيرًا هذا الأب الكـــاذب، الجبـــان، الأكثر شحوبًا من البواب، قائلاً : " اذهب وقل لوالدتك إننـــى أربـــح، وإننى سأعود فى الحال" .

تعمل أختى فى قسم إعادة تقييم الأموال.

يبدو أن ضحايا (هانز) الأشرار سوف يتلقون تعويضات يومًـــا ما، بعد انتهاء الحرب.

ظهور ابنة عمى (إيدا)، تلك التى ستصبح بطلـــة فـــى التـــنس وتتزوج من "كلود بورديه".

هياج شعبى يقوم به الانفصاليون الذين لا يريدون أبدًا أن تصبح (رينانى) فرنسية، من الواضح أن نازيى المستقبل كانوا بينهم. يقـــوم هؤلاء بإطلاق النار على الفرنسيين وعلى العملاء، فيسقط أستاذ مـــن مدرستنا، مدرس التاريخ، وهو يحـــاول إســـعاف أحـــد الانفـــصاليين المسنين.

مراسم دفن رسمية، بأعلام فرنسا والنشيد الوطنى (المارسييز)، وأشياء أخرى. كان لتلميذين فقط الشجاعة فى شق صفوف الحشود، والخروج من هذه الحماقة.

يطلعنى شريكى على " بودلير "، وكنت ما أزال عند (هيريديا).

بعد زمن طويل التقيت به ثانية فى باريس، كان قد تزوج من فتاة ألمانية، بدينة جدًا، لباسها مزرٍ، أخبرنى أنه افتتح عيادة أسنان، و"بدأ بالاستقرار".

•

كان الجنود الفرنسيون المكلفون بحمايتنا، نحن تلاميذ المدرسة الفرنسية فى "مايانس" سنغاليين، وكنا فى أغلبيتنا روسًا، ويهودًا، وأرمن، وفنلنديين.

أقوم بجرح نفسى بالموسى عن قصد، فأشعر باللذة لرؤية الدم يتدفق خارجًا.

ينشئ الرايخ المارك الذهبى واضعًا بذلك نهاية التضخم.

فتتوجه العائلات الروسية وحليفاتها إلى فرنسا. ونهاجر، نحن، إلى الدائرة الخامسة عشرة فى باريس.

الفصل الرابع

الريب

١٩٢٤. باريس فى الأيام الأولى، ثم، وسريعًا جدًا إلى " بورج لارين ".

كنت تلميذًا داخليًا فى مدرسة " لاكانال ". غائبًا نصف أيام الأسبوع. وكان فيكتور المصاب بالسل، طريح الفراش، وهو الذى أجد عنده ملجأ كلما سنحت لى الفرصة، يقوم بتزوير خط والدى، فيبرر غيابى بحالتى الصحية التى تتطلب ذلك...

أراد فيكتور أن يلعب لعبة "التيمية" (من تيما)، التى تعتمد على التركيز على موضوع ما، فيتوسل إلى لأجلب له قلم رصاص أحد التلاميذ الذى لم يكن يعرفه، والذى حدثته عنه فقط ذات مرة. أما أنا، فكان يعجبنى تلميذ آخر رأيته ذات خميس يتدحرج ضاحكًا على مرج الحديقة وعيناه نصف مغمضتين. لقد مارس الجنس مع كل تلاميذ الصف ماعداى.

حرب فى المدرسة. "اللوطيون" وأولئك الذين يؤثرون الجنس الآخر مجتمعون، متحالفون ولو لمرة واحدة ضد ثنائيى الرغبة

الجنسية، بقيادة التلميذ " ديلجادو "، وكأنه يخطب : " ذكر رجل أو شق امرأة،كله سواء ".

علمت فيما بعد أنه أصبح ديكتاتورًا فى فنزويلا، وقتل فى أحداث عصيان. لم يكن حليفًا للأمريكيين بالقدر الكافى.

كان ابن " هوجيت دوفلو " فى ثوب نوم أخضر، يبحث لنفسه "عن صيد فى قاعات النوم" [1].

تنشأ علاقة بين صديقى " بوتيجان " و" هوبير ". إن نصف تلاميذ المدرسة المتورطين فى علاقات جنسية شاذة تم طردهم.

وطردت أنا أيضًا، لكن لأسباب أخرى. لقد بالغت كثيرًا، تغيبت أكثر الأوقات عن دروسى. أرسل المدير رسالة مهذبة إلى أمى، شرح لها الأمر.

باريس من جديد. أنشر وفيكتور مقالاً بدائيًا فى " لاندور "؛ الجريدة الفوضوية الفردانية، تحت عنوان : تحيا الفوضى !

أهبط إلى محطة المترو، بسروالى الممزق عند الركبة، أسعدنى كونه ممزقًا، وقمت بتوسيع الشقوق أيضًا.

---

(١) يحاول أداموف التلاعب بالألفاظ ، إذ يريد أن يقول (ممارسة الدعارة). المترجم

يتصل " بيار أونيك " و" مكسيم ألكساندر " هاتفيًا بأم " جان كوكتو "، وأخبراها : " لقد مات جان... آه ".يغلقان سماعة الهاتف. لقد انطلت الحيلة.

عندما عاد بروتون تقدمت أمامه للامتحان كسريالى صغير، فسألنى : " أيهما تفضل بودلير أم إيزيدور دوكاس، كونت دو لوتريامون ؟ " أجبت : " بودلير ". وازداد وضعى سوءًا عندما ذكرت من بين أسماء الشعراء المعاصرين الذين أفضلهم : إيلوار وتزارا، ناسيًا بروتون.

"تزارا ! إن من يحب أشعار رجل شرطة، من الممكن جدًا أن يصبح هو الآخر شرطيًا." هكذا حكم علىَّ ورسبت فى الامتحان.

خيبة أمل. الشعور ذاته الذى كنت أحس به طفلاً عندما كنت أعبر عن رغبتى بالانتماء إلى عصبة ما دون أن أنتمى إلى أى منها.

يقنعنى فيكتور بأن أفضل وسيلة للتعرف إلى الفتيات هى العمل فى المسرح. قمنا باستئجار استوديو "الأورسولين" ووضعنا ثلاث مسرحيات فى البرنامج. الأولى من مسرحيات "رايمون ديسانى" والثانية لم أعد أدرى لمن والثالثة لى : " الأيدى البيضاء "، التى يستغرق عرضها خمس دقائق؛ تقف فتاة على كرسى فتمسك بيد شاب وأقف أيضًا على كرسى. تترك يده، وتأخذها من جديد. إنه مسرح الفصام منذ ذلك الحين.

كانت " تانيا بالاخوفا " و" ريمون رولو" غير المعـــروفين ذلـــك الحين، ضمن فرقتنا.

أراد أبى تسجيلى فى مدرسة "بريجيه " لأصبح مهندسًا.

٢٣ آب ــ أغسطس ١٩٢٧. شغب فى باريس من أجل الإفراج عن ساكو وفانزيتى المحكوم عليهما بالموت على الكرسى الكهربائى.

نخرج من مترو "ريومور" على تلك الأصوات غير المتجانـــسة حتى أننى ظننت أنها حلم؛ ولكنها مع ذلك كانت حقيقية جدًّا : " تـــسقط أمريكا. تسقط أمريكا ! "

يقال أنه فى ساحة الإيتوال (النجمة)، يقوم الفوضويون بـــالتبول فوق شعلة الجندى المجهول، فتنطفئ. واجهات المحـــلات مهـــشمة، مشاهد من النهب. خلف المتظاهرين، كان هناك شعب قادم وكأنه خرج من الأرض.

كنا نصيح بالمتسولين أن ينهضوا معلنين أن التحريـــر قريـــب، وكانوا ينظرون إلينا كبلهاء ونحن نمـــر أمـــامهم، أفـــواههم فـــاغرة، وزجاجات الخمر أمامهم.

فى مقهى " لاميزون دو كافييه " قمنا بتسوية الحسابات مع جنود الفرقة الأمريكيين، وكانت سيفونات المياه تتطاير.

نحن ندين بحياتنا، أنا وفيكتور، لرجل إنجليزى وزوجتـــه، فـــى لباس السهرة، اللذين أخفيانا فى سيارتهما.

أعادت المظاهرة تنظيم صفوفها فى تقاطع شارعى " سيباسبتول " وشارع " ريومور ". ثم جاء الأمر بفض المظاهرة.

يحتج المهتاجون، الذين كنت بالطبع واحدًا منهم. ماذا ؟ تـــنفض المظاهرة عندما أصبحت

باريس كلها تقريبًا بين أيدينا ؟

يسألنى أحد الرجال بسحنته القذرة : " هل عندك بطاقة حزب ؟ " أجيب : " لا ".

لنرد المشهد إلى زمنه التاريخ ــ أيام التجمع.

كان كل المتظاهرين، على الأقل فى ذلك المكان من الشيوعيين.

كنت أعد مثيرًا للشغب، علمت بذلك عندما ظهر فجأة رجل فـــى معطف واق من المطر، فقال لعدوى : " وأنت !..هل معك بطاقتك ؟ "

ولم يكن ذلك الفضولى ذو السحنة القذرة يحمل بطاقة.

هيجان فى الجمهور : " ماذا لو نلحق به ؟ !... "

أبحث عن الرجل ذى المعطف الواقى، كان قد اختفى.

تعليقات على الحادثة فى مقهى-بار "دوم" (١)

كانت " سليفيا ماكليس " تؤدى الدور النسائى الوحيد فى مسرحية " الأيدى البيضاء ".

وكنا كثر، ومعنا فيكتور، نحاول أن نقبلها، فننجح فى ذلك قليلاً أو كثيرًا.

أنحنى إلى معصميها، فتقول لى : " انظر إلى هذا السوار، إننى أدعوه سوار التوبة لأننى سوف أتزوج. "

يتوقف رجل، أمام استوديو " أورسولين "، بعد ظهر أحد الأيام، فتقول : " هذا زوجى، جورج باتاى ". وعرفت فيه الرجل الذى دافع عنى فى بولفار "سيباستوبول".

عرض مسرحية الأيدى البيضاء. يوزع فيكتور بطاقات صغيرة على الجمهور، يقرأ فيها ضمن أشياء أخرى : " يحيا تروتسكى، تحيا الثورة الدائمة ! "

التقيت للمرة الأولى بـ "روجيه جيلبير — لوكونت" الذى قدم كمشاهد بصحبة "خوان ميرو".

---

(١) مقهى وبار فى حى المونبارناس، يجتمع فيه المثقفون. المترجم

أقوم بنشر مجلة " التقطع " (discontinuité) مع سيرنيه ولومبروزو. المساعدون هم : جورج نوفو، وجان كاريف، وبريفير...إلخ

أقرأ عددا من مجلة " غران جو" (اللعبة الكبيرة)، مجلة جيلبير لوكونت، فتبدو لى أكثر جدية من مجلتى. وأتألم لذلك.

نعاكس، أنا وفيكتور، عشرات الفتيات فى حديقة " لوكسمبرغ " ونجبر مراهقة على السير عارية القدمين حتى حوض الماء، ثم غمر قدميها فيه لنقوم كلانا بتقبيلها. تنظر طالبتا ثانوى إلينا، وتسخران منا.

كنت أنا من حاز على إعجاب تلك الفتاة " كلاريس "، فأعطتنى موعدًا. أصبح فيكتور خارج اللعبة.

ذهبنا إلى شارع "لومبار" [1]. أردت أن أصعد مع كلاريس وفتاة أخرى.

قالت : " لا، ليس مع فتاة اليوم ". ومع ذلك كنت أعلم أنها تحب النساء. كانت تريد أن نمارس الحب، ولم أفلح، فبكت : " أؤكد لك، إذا كنت أصر على ذلك، فليس أبدًا من أجل المتعة ". كم سمعت هذه الجملة على مر السنين !

نتوجه حزينين إلى حى " مونبارناس " الذى كنت قد اكتشفته حديثًا.

---

(١) شارع تكثر فيه فتيات الرصيف، فى باريس.المترجم

الفصل الخامس
مونبارناس
آرتو آنفا"

خريف ١٩٢٧. أقضى الآن أيامى ولَيالى فى حى مونبارنـــاس، تحديدًا فى بار " دوم "،

الذى لا يغلق أبوابه أبدًا.

ذات مرة وبعد رهان أحمق، بقيت وفيكتور فــى البــار أربعًــا وعشرين ساعة متتالية.

" دوم " هذا المعسكرَ اللامعقول، حيث تنتشر، وسط دخان التبــغ والطاولات التى تطفح أعقاب السجائر من أطبــاق فناجينهــا، تنتــشر الجرائد المكتوبة بكل اللغات التى يمكن تخيلها، وبرك القهوة بالحليب، وتنابل، وطفيليون حقيقيون، وفنانون حقيقيــون، وفنــانون مــدّعون؛ يقضون أوقاتهم بالثرثرة. (إذ تَعد الثرثرة فى مونبارناس غاية فى حد ذاتها). كان الحديث يدور عن الشعر، والرسم، والــسياسة، وأشــياء أخرى.

نتجادل من طاولة إلى أخرى. والرجال يتعرضون للفتيات من كل الجنسيات، جميلات أو غير جميلات، ولكنهن يتمتعن دائمًا بشيء مبتكر، وهن يرتدين أثوابًا تعبر عن احتقار كلى للموضة السائدة. كانت إحداهن تشبه شخصيات " تولوز لوتريك "، والأخرى أعمال "رينولدز".

كان العديد من المترددين على " دوم " من عائلات أمريكية، أو إنجليزية، أو أسترالية، يملكون الكثير من المال، وخاصة إذا أخذنا بالحسبان فرق العملات، وكانوا يعطوننا منه.

الوجوه الجميلة لـ " بلان "، و" جياكوميتى "، و" آرتو ". لقد تعرفت إلى ثلاثتهم فى "دوم".

مسرحية " الحلم" لـ " ستريندبيرغ "، أول إخراج مسرحى كبير لـ " مسرح القسوة ". ثم تبعها عمل آخر : " les cenci ".

يصعد آرتو إلى خشبة المسرح قبل ارتفاع الستارة ويعلن : " تجرى أحداث هذه المسرحية فى السويد، وهذا يعنى: ولا فى أى مكان على الأرض ". يقول ذلك لكى يغفر له السرياليون، أصدقاؤه القدامى؛ فقد حصل على معونة مالية من السفارة السويدية، أى أنه ارتكب جريمة.

لم يكن تفسير " ألفريد جارى " يروق لأحد السويديين الجالس فى الصفوف الأمامية، طويل القامـــة. فـــنهض وقـــال : " فليغـــادر كـــل السويديين الصالة ". وبعدها، غادرها هو نفسه. وتبعه عشرة ســـويديين تقريبًا.عندها، نهض أحد الدنماركيين بدوره، وهو قصير القامة، أشـــبه بقزم، وقال : " ليحذو الدنماركيون حذو السويديين ". ثم خرج، ولكـــن، أى من الدنماركيين لم يتبعه، وضجت الصالة بالضحك.

كان " بول فاليرى " فى مقصورة بصحبة سيدة حـــسنة الملـــبس، ولأن السرياليين الصغار كانوا يحتقرونه، فقد أخذوا يرددون مترنحين: " سحقًا لفاليرى ". ومن شرفة المسرح كانت تأتى أصوات أكثر جدية : " تسقط فرنسا، تسقط السويد ! "

ذهول فى الصالة ثم ضحك.

نهض أحد المسنين، وكان يلبس سترة سوداء طويلة، بدت عليـــه علامات السخط، فصاح وهو يلوح بيديه : " تعـــيش فرنـــسا ! يعـــيش بيجى ! " فتتضاعف الضحكات.

على خشبة المسرح، كان أنتونان آرتو فى دور الضابط، وبيـــده باقة ورد ضخمة، يضرب على باب موصد، ملحا، مناديًا : " فكتوريا، فكتوريا ! " وهى لا تأتى أبدًا.

(ستريندبيرج طليعى).

صياح شديد فى الصالة :" يحيا لينين ! " " يحيـــا تروتـــسكى " " السوفيت فى كل مكان ".

قيد بعض السرياليين إلى مخفر شرطة الحى، لم يبقوا فيه ســـوى ساعة واحدة تقريبًا، فقد أطلق سراحهم بمخابرة هاتفية من " بانلوفيـــه " الابن.

الفصل السادس

إيرين

١٢ تشرين الثانى – نوفمبر ١٩٢٨. ألمح فى مكتبة (سانت جونفياف) شابة جميلة جدًّا، السيماء سلافية، والعينان رماديتان، والخصر نحيل، تمشى بنزق بين صفوف القراء، تتحدث إلى أحد الطلاب، أسمع المحادثة. كانت قد ملأت بطاقة طلب كتاب (الأبله) لدوستويفسكى، منذ أكثر من ساعة ومازالت تنتظر الكتاب. يعدها الطالب بالاهتمام بالأمر، يهتم به فعلاً، فتبدو علامات الرضا على الفتاة.

كان بإمكانى ببساطة أن أفعل ما فعله هذا الطالب. لا، لم يكن بإمكانى ذلك، أن أتعرض لفتاة بعد أن أقوم بتأدية خدمة لها، سيبدو لى ذلك سوقيا".

تخرج الفتاة، أتبعها. وفى شارع (سوفلو) أحاول مغازلتها باللغة الروسية، تنفجر بالضحك : " يا لها من لكنة ! "

كانت ذاهبة لمحاضرة لـ (بيردياييف)؛ الذى كان الجيش الأحمر على وشك أن يشنقه كما قيل، فخلصه الجيش الأبيض من حبل

المشنقة. لقد احتفظ من هذه المغامرة بحركة عصبية، إذ كـان يخـرج لسانه مرة كل ساعة تقريبًا، ولم يكن يقوى على كبح جماح نفسه.

ألاحظ أن إيرين تعرج بشكل خفيف جدًا. تعترف لى بأنها، فـى سويسرا، عندما كانت طفلة تقريبًا، أصيبت بالسل العظمى، ورفـضت أن تعالجه. لقد كانت تصلى، ألم يكن ذلك كافيًا ؟!

على كل حال، كان الطب المسيحى يرد بالإيجاب.

تحدثنى إيرين عن الوجد الذى يوصل إلى الرب، وعـن الحيـاة الحلم، وعن الموت الذى ليس بالعدم.

ولكن، كان بإمكانها أن تقول ما شاءت مـن الأفكـار المبتذلـة، فالأمر عندى سيان؛ إذ كنت أنظر فقط إلى عينيهـا البـراقتين، وإلـى شفتيها اللتين تنثنيان كما لو أنها تتكلم عن الحب.

أضرب لها موعدًا. يكفينى فقط أن تأتى.

مقهى (دوم)، حيث أنتظر إيرين، لم يتغير. فى الداخل، رجـل وامرأة من الألمان الجديين يقرآن كتابًا عن فرويـد، ويعلقـان علـى التوضيحات.

على الشرفة، ثمة دانماركيات شابات يعملن فى حضانة الأطفال، يبتسمن لأطفالهن الآنيين، وللرجال الذين يقتربون منهن.

أنهض وقلبى يخفق بشدة، أذهب نحو الباب، أعود، فأجلس ثانية، ثم أنهض مرة أخرى، أرجع ثانية إلى الباب.

تظهر إيرين أخيرًا، أقبل يديها مرة، مرتين، عشر مرات، لا أستطيع نزع نفسى عن تلك اليدين، تغرورق عيناى بالدمع، فتبتسم، إن فى ابتسامتها شيئًا من السخرية واللطف.

كان فيكتور قد غادر لتوه إلى (تور) بصحبة زوجته (جوردين)، إحدى التوأمين الدنماركيتين اللتين لاحقهما بعد خروجهما من المسرح إلى المشفى الأمريكى فى ضاحية (نوييى).

أحس بأن رحيله إشارة حسن طالع بالنسبة إلى : ستحبنى إيرين. أقول ذلك لنفسى، دون شك؛ لأن الفتيات اللواتى حاول فيكتور مغازلتهن فى حديقة اللوكسمبورغ، كن يفضلن فيكتور على، فى أغلب الأحيان، ولابد أننى عانيت من هذا الأمر دون أن أنتبه لذلك.

فى إحدى الصباحات، فى شارع (مين)، كانت السماء تمطر، والرياح تعصف، لم يكن هذا يعنينى كثيرًا، كنت أمشى بخط مستقيم إلى الأمام دون أن أرى شيئًا، مرددًا، صائحًا :

" إيرين ! إيرين !.." كنت سعيدًا آنذاك.

كيف يمكن أن أستعيد ما كنت أشعر به !.. أن أصف كيف كان حبى لإيرين ؟.. لم أكن بعد قد بلغت العشرين من العمر... لقد مر وقت طويل.

كان لإيرين خطيب فى برلين، وكان الألمانى الشاب يملك الكثير من المال ويريد الزواج بها. وكانت والدة إيرين تدفعها بالطبع للــزواج منه، لكن إيرين تهدئ من روعى، فالقضية مرفوضة تمامًا، حتى ولــو لم تلتق بى. فهى تجد (ب.) ساذجا" إلى حد كبير. أتــى (ب.) إلــى باريس، واصطحب إيرين للنزهة.

فى إحدى الأمسيات، وأثناء خروجهم مــن (الحمــراء) حيــث دعاها، أحاول لعب دور المنتحر، أقذف بنفسى تحت سيارة أجرة، ثــم أنهض فى الوقت المناسب، تجهش إيرين بالبكاء بينمــا كانــت أمهــا و(ب.) يجرانها بعيدًا.

يتملكنى الخوف من البقاء وحيدًا، فأهرع إلى جيرار، الذى يقطن الحى، فأجده فى اجتماع مع البروتانيين المطالبين بالحكم الذاتى. أشــتم بروتانيا وأمضى صافقًا الباب خلفى.

فى اليوم التالى، تصالحت مع إيرين، أقسمت لى بأنها لن تتزوج أبدًا من (ب.)، ولكنها تعترف لى أيضًا بأنها قد استسلمت له، وأنه لم يكن بإمكانها أن تتجنب ذلك.

نقرر، متحدِّيين، إيرين أمها، وأنا أبى، أن نعيش معًا.

ولكن وكأنما بمحض الــصدفة، نستقر فــى فنــدق فى شــارع (فوجيرار) القريب جدًّا من مسكن والدى، وهكذا لن يبق على إلا أن أسير خطوتين لكى أذهب إلى البيت، وأجلب شرائح ضــلع الخــروف المطهو على الطريق الروسية التى كانت أمى تحضرها لنا.

لم أخرج عن نطاق العائلة بعد.

حياتنا المشتركة. بما أننا لم نكن نملك قرشًا واحدًا، فقد كان الأصدقاء هم الذين يدفعون مصاريف مشاويرنا.

كانوا فى بعض الأوقات، يستغلون هذا الوضع، فيمارسون الجنس مع إيرين.

لمحنا فى " دوم " فتاة يانعة، رائعة الجمال، القسم العلوى من صديريتها مطرز بالدانتيلا. وفتاة أخرى، أكبر سنًا، يبدو جليًا أنها سحاقية، تمسك بيدها؛ كانت إيرين مبهورة بذلك. تبتسم الفتاة لنا.

لن أتعرف إلى إيزابيل قبل وقت طويل.

كانت إيرين مازوخية، تهوى التعرى. تشعر أنها مذنبة، وتتلذذ بهذا الشعور. لم تكن تخفى عنى وجود عشاق لها منذ بدأنا حياتنا المشتركة. كانت تعطينى أسماءهم التى كنت، على كل حال، أحزرها وحدى.

كانت تخبرنى ماذا أراد كل واحد منها، وماذا كانت تريد هى منهم.

كانت تسهب فى الحديث عن فجورها، تحاول الحصول على اللذة بنفسها أمام الرجال ونظراتها مثبتة عليهم. ولكنها حدثتنى أيضًا عن ذلك الجلف الذى ألقاها أرضًا ثم امتلكها. لست أنا من يفعل ذلك.

كانت قصص إيرين تثيرنى وتجرحنى فى الوقت نفسه.

فتارة كنت أهمس :" قصىً علىَ، إذًا، قصىً أكثر " وتارة كانت تنتابنى الغيرة الغبية.

انتهت تلك المشاحنات الغضبى المتكررة بتهديم حبنا.

و بما أن إيرين لم تكن تحب اسمى (أرتور) فقد أطلقت على لقب (إيرن) (إيرين = إيرن).

فى الغرفة المجاورة لغرفتنا، كان هناك رجل يضرب امرأةَ كل ليلة. كان الخوف يتملك المرأة، وكانت تنوح صائحة : " لا تضرب على العينين، أرجوك، ليس على العينين ". كان يضربها إذًا على وجهها. كانت إيرين ملتصقة على الحائط، تستمع مسحورة.

كنا نذهب للسهر فى أغلب الأوقات، أنا وإيرين، وروجيه فايان، وعشيقته (م). فى إحدى الأمسيات، فى مقهى دومينيك، أراد فايان الذى عشيقته (م)، فى ثورة غيرة أن يهدئها، ويتحدث إليها وحدها، فخرج معها، ولكنه قبل ذلك، أعطى إيرين مبلغًا من المال، لأنه كان يعرف أننى لا أملك نقوذا. وقامت هى بدفع الحساب فيما بعد.

يرى بعض الروس البيض، الأغبياء، الوضيعون، أن امرأة سددت الحساب، فبدؤوا بالضحك الساخر البليد، ونعتونى، فيما بينهم بالقواد. اجتاحتنى موجة من الغضب المفاجئ، فأطلقت صرخة عبثية غير مناسبة : " يعيش السوفييت "، ودوت صرختى بعيدًا، فنهض الروس والغضب يملؤهم، عندها طلب صاحب المكان رجال الشرطة.

وصلوا، لكننا كنا قد أصبحنا داخل سيارة أجرة. طلبت من السائق الإسراع مقابل مبلغ إضافى.

وجهت لى إيرين إنذارًا كوميديًا : " يجب أن تختار بينى وبين الثورة ! "

إن نقص المال الأزلى الذى نعانى منه لم يصلح الأمور؛ فعند نهاية كل شهر، نرتجف، ولا نجرؤ على المرور أمام صاحب الفندق الجالس خلف مكتبه. كان يبدو كأنه قاض.

فى إحدى المرات، أنقذنى " بوتيجان "، بعد أن رهن ساعته ليمد لنا يد المساعدة، وفى مرات عديدة، ساعدتنا هوغيت المتيمة بإيرين.

قرأنا " الأطفال الرهيبون " (Les Enfants Terribles)، كلانا أحب هذا الكتاب. قررت الذهاب لرؤية " كوكتو " لأطلب منه بعض المال. وجدته فى بيته فى شارع " أنجو ". أعطانى المبلغ المطلوب، ولم ينس أن يضيف طبعًا أنه لم يعد يعرف أين هو من هذا العالم، وأين أصبح العالم. كان يعيش كرجل يسير فى نومه.

مارس (X) الجنس مع إيرين.

" يجب أن تستوعب الأمر، لقد أعطانى بعض الهيروين. ليس بمقدورك أن تعرف كم نشعر بالمتعة بعد أن نتعاطاه ".

لم أفكر ولا للحظة بإيرين ككـــائن موضـــوعى عليـــه مواجهـــة مشكلاته.

لم تكن توجد إلا من خلالى. أنانية كلية.

اقتحمت الشرطة غرفتنا. اتهمت بمشاركتى فى مظــاهرة ســاكو وفانزيتى. لم يكن بإمكانى الإنكار، فقد رآنى أحدهم، وغدِتُ المخطِّط لتلك المؤامرة.

أخرج أحد رجال الشرطة كراسًا صغيرًا كنت طبعته على نفقــة الكاتب مع (ل) و كلود سيرينه. فتحه على صفحة كنت أشــتم فيهــا فعلاً الماريشال " فوش ". ولم يأت ذلك فى الوقت المناسب، فقد كــان الماريشال قد مات منذ فترة وجيزة جدًّا. سألنى الشرطى إذا ما كنــت ضد الفرنسيين. لم أعرف بماذا أجيب، متلعثمًا : " لا، لا.. ليس علــى وجه الخصوص. "

لم تع إيرين التى تعيش فى الحكمة الأزلية أبدًا لماذا أهبط بنفسى إلى اعتبارات بهذه التفاهة. اعتبارات آنية، بكلمة واحدة.

طردت مع إيرين وأمها خارج فرنسا. نصحنـــى الأصدقـــاء بـــ " أندريه مالرو " فهو "رجل يسارى "، كما قالوا، و"يحب الشبيبة".

باتصال هاتفى واحد منه، ألغى قرار الطرد.

قررت الشرطة أننى وإيرين لن نعيش معًا بعد ذلك.

- و لأننا مازلنا قاصرين، لم يكن هناك بد من الخضوع للأمر الواقع.

مازلت ألتقى بإيرين فى بعض الأحيان، عند (E)، وهو شاعر جزائرى. اتخذنا قرارًا بألا نلتقى بعد ذلك اليوم بانتظام، دون أن نقطع مع ذلك علاقتنا نهائيًا.

إنه لمن الصعب على أن أقول كيف تمزق حبنا وانتهى، كصعوبة تذكر ولادته وبلوغه النضج.

ظهور (هوغيت) المتكرر أكثر فأكثر.

الفصل السابع

أقدام الفتيات العاريات

عام ١٩٣٠. تصل أزمة " وول ستريت " إلى أوروبا. سيصبح التسول فى مونبارناس أكثر صعوبة.

"هوغيت "، بأعلى جبهتها المكشوف، المحلوق، وبشرتها البالغة الشحوب، وعينيها المطلية بسواد فحمى، وصوتها الـرزين، المكسوة بالدانتيلا، تجعلننى أشعر بالخجل، والخوف، والإثارة.

إننى أمامها أشبه بتلميذ مدرسة ضبط وهو يرتكب خطأ.

"هوغيت"، دائمًا بقدميها العاريتين، فمى ملصق بقدميها المبللتين، لا تسحبهما، لكنها، بنظراتها الباردة، الجادة، المتهمة، تحدق بى.

كانت, مثل طفلة عبقرية، تعزف موتسارت دون نوتة، وتعرف عن ظهر قلب رامبو، ومالارميه، وسان جون بيرس، الذى اتصلت به فى أحد الأيام، فأجابها : " مع من ترغبين فى الكلام، مع سان جون بيرس، أم سان ليجيه ؟ (وهو اسمه كسفير) ". عندها أصيبت هوغيت بالتقزز.

أحيانًا، تتفجر فجأة بالضحك، أبحث عن سبب ذلك الضحك المباغت، وبما أننى لا أجده، أصاب بالقلق.

مازلنا فى العام ١٩٣٠. إجلاء نهائى لقوات الاحتلال الفرنسية. أربع سنوات قبل

التاريخ المحدد فى معاهدة فرساى.

قررت هوغيت أن تحتجزنى عندها. كنت أقيم فى سقيفة الطابق السادس حيث كانت تقطن، فى منزل والديها، وهما من صغار بائعى مجوهرات شارع " دى بلانت ".

كانت تعتنى بى جيدًا، تجلب لى التبغ والخمور والطعام. لم يكن ينقصنى أى شيء، فقط لم يكن على الخروج.

أطلب من هوغيت ما كنت لا أجرؤ أبدًا على طلبه، أو التفكير فى أن أطلبه من إيرين، وهو أن تبول على. فتقبل.

بقيت سجينها بكل طيب خاطر حوالى ثلاثة أسابيع.

صارت ضحكات هوغيت المتكررة أكثر فأكثر، والصاخبة، تصيبنى بالذعر.

٣٣ شارع " كرونشتات "، الدائرة الخامسة عشر، فى بيتنا مـــرة أخرى. العاشرة مساء". أنا مريض، مصاب بـــالحمى بـــسبب التهـــاب لوزات حاد تدخل هوغيت، وتجلس على حافـــة ســـريرى، صـــامتة، شبيهة بظل. ثم فجأة تبدأ بالكلام، لكن بصوت مستعار، بصوت لـــيس صوتها. شعرت بالذعر، فأطلقت صرخة، هرعت أمى مـــن الغرفـــة المجاورة وطردت هوغيت، وأنا تركتها تفعل.

يهيأ لى أننى رأيت كابوسًا الليلة ذاتها : كانت الموسيقا تعزف فى ناطحة سحاب فى نيويورك، حيث تجلس إلى طاولة قريبة من طاولتى امرأة جميلة جدًّا، لا إنسانية، شفتاها مشققتان وشاحبتان تقريبا". أعرف ما الذى كانت ستقوم به معى، ستنهض، وتقترب منى، وتقبلنى، وتنقل لى عدوى السفلس.

صحوت قبل أن تنحنى المرأة فوقى.

كانون الثانى ـ يناير ١٩٣٣. تراكمت ديون القمار والخوف من المستقبل الموصود علىَّ، أبى انتحر بـــ " الغاردينال ". كنت فى تلـــك الليلة أنام فى غرفتى القريبة من غرفته، ولم أكن أشك بشىء.

كنت أكره أبى، أنا إذًا من قتله، وخلال سنة من موته، كنت على ثقة من ذلك، ولست متأكدًا حتى الآن من العكس.

أنفصل شيئًا فشيئًا عن هوغيت، ربما لأنني كنت خائفًا منها (غريزة حب البقاء الأزلية).

يستدعى " هيدينبورغ " هتلر إلى المستشارية، فاتحًا بذلك، الباب للنازية، للويلات.

كنت قد التقيت فى منزل هوغيت بأختها " جيزيل "، كم هما مختلفتان هاتان الأختان. كانت جيزيل أقرب إلى الامتلاء، شقراء، فاتنة، ببشرة حليبية، عندما تبتسم، تتقوس شفتاها بوعد شهى.

تلك جيزيل، بساعديها العاجيين، وزينتها المبهرجة.

يهيأ لى أن جيزيل كانت عشيقتى الوحيدة، دون شك؛ لأنها كانت تعطينى مواعيد فى الخفاء، ترسل بعض الكلمات المكتوبة على عجالة بقلم رصاص، كالنساء المتزوجات فى الروايات.

كانت جيزيل، العاطلة عن العمل، بحاجة للمال، ولم يكن زوجها، المارتينيكى الشيوعى، الطالب بكلية الطب، من يستطيع أن يوفره لها.

اشترى والدا جيزيل لابنتهما محلاً لبيع الأزهار، بينما ترمى هوغيت بالطبع أختها الكبيرة بنظرة استعلاء. يالها من مسكينة، جيزيل التى تعمل بائعة، بأزهارها الذابلة غير المباعة. كان الأحرى بها لو عملت فى بار، لكانت ساقية رائعة، مسندة بتكاسل مرفقيها البيضاويين على منصة المشرب، أما أن تضع ثلاث زهرات فى واجهة زجاجية !...

ومع ذلك، تعاند جيزيل، وكنا نذهب، خلال شـــهر، كـــل ليلـــة، لشراء البضائع من سوق الهال، وكانت تتوقف فى كل بـــار وتـــشرب كمجنونة.(لم أكن أشرب فى ذلك الوقت).

و كنت أعود بها فى سيارة أجرة ثملة ورأسها منكسة على كتفى.

قمنا برهن بعض الأغراض البسيطة التى لا قيمة لهـــا، والتـــى نسينا أنا وهوغيت أن نسرقها من محل المجوهرات العائلى.

الأحد، فى أسفل شارع " سان ميشيل "، كانت جيزيل تبيع جريدة الطليعة، الجريدة مبسوطة بخيلاء فوق صديرتها التـــى مـــن المخمـــل الأسود، ومحمية من الطلاب الشيوعيين.

عمال فى مقتبل العمر ينشدون : " ها هى الطليعة الشابة

التى نزلت إلى الشارع

إلى الشارع ".

أذهب كل صباح إلى شارع "سان ميشيل "، الشرطة أيضًا، بعض الأصدقاء، ووطنيون آخرون. يحتدم العراك مرة كل أسبوعين تقريبا".

أحنقَ على نفسى كثيرًا من أجل تلك المشاحنات التى سببتها مـــع جيزيل بسبب الغيرة. بأى حق كنت أتصرف معها هكذا ؟!

أنا حتى لا أمارس الحب معها بالطريقة التـــى تريـــد، إذًا لـــم لا يكون لها عشاق ؟!

لقد تعرفت إلى أحدهم، وكان تركيًا"، على درجة لا بأس بها من الجمال، غبيًا على الأغلب، لكنه ليس سمجًا. كان شيوعيًا.

انفصلنا، أنا وجيزيل، لكننا لم نقطع الصلة بيننا، كنا نلتقـــى مـــن وقت لآخر، بشيء من الحزن طبعًا.

إنها عدم قدرتى على إنهاء العلاقة مع المخلوقات التـــى أحببتهـــا على نحو ما، (لاسيما النساء).

اقترح (كرامير) على الذهاب إلى البرتغال، معه ومع المـــرأة التى أعارتنى مشغلها فى (٤٦ شارع هيبوليت ماندرون). تحديدًا أمـــام مشغل " جيا كوميتى " و"مارى جيرينجير ".

قبلت. فبكت أمى.

البرتغال، شواطئ لا نهاية لها، كالتى نحلم بها، لكنها هنـــا حقيقية جدًّا.

كنا نعيش على مقربة من أحد تلك الشواطئ المثالية، لكننـــى سئمت من الطبيعة، من الوحدة، ولم أعد أحلم إلا بلشبونة، حتى أصبح ذلك هاجسًا عندى. لم أكن أملك نقودًا، فكتبت إلى " ميلوز " لكى يرسل لى بعضًا منها. فقام بذلك مرة أخرى، رحلت على الفور : " ســـأبقى يومًا أو يومين، ثم أعود ". وواقع الأمر أننى تسكعت فى لشبونة أيامًـــا كاملة، حتى آخر قرش.

كانت لشبونة مسحوقة، محاصرة بالقيظ، رائعة.

فى ذلك الوقت، كان " سالازار " قــد اســتلم الــسلطة، وكانــت دوريات الجنود المخبولين، بعيونهم نصف المغمضة، البنــادق علــى الأكتاف، تجوب الأحياء " المشبوهة ".

فتاة بقدمين عاريتين تقف منتصبة القامة، فى أعلى درج مغطــى بالفضلات.

الآن، إنها باريس التى أرغب بالذهاب إليها، لم يفهم " كراميــر " لماذا، ألم أكن سعيدًا هنا ؟

اكتشفنا " فابر دو ليفييه " من خلال كتاب "علم الاشتقاق المقدس"؛ تناقشنا حوله ليال كاملة، ثم ذهبنا للتنزه والسباحة.

كل هذا صحيح، ولكنى لم أعد أفكــر إلا بــــ " مونبارنــاس " وباريس. سخر كرامير منى، لكن الأمر سيان عندى، رحلت.

الدرجة الثالثة على سطح الباخرة البرازيلية. إنهــا تتجــه إلــى هامبورغ، توقفت فى "الهافر". السيدة البلجيكية السحاقية فــى الدرجــة الثانية، تحب الكتّاب الذين تبدأ أســماؤهم بحــرف البــاء : (بونــوا، بواسليف، بازان، بورجيه). وتعجب أيضًا بليتوانية شابة على ســطح الباخرة، التى كنت مغرمًا بها بغمــوض. عنــدها، تبعــت الليتوانيــة الصغيرة السيدة البلجيكية إلى الأعلى !...

يقدم الشاى لطاقم السفينة المؤلف من الزنوج، على القنطرة، حتى فى الأيام العاصفة.

ويطالب الطاقم بقاعة طعام.

تأجج عصيان على متن السفينة بسبب وجود سجين سياسى أسبانى، سلمته البرازيل "المتفهمة" إلى أسبانيا قبل وصول فرانكو إلى السلطة. كان بلده يطالب به، فسلم له.

نشيد الأممية يهدر من قبل الزنوج باللغة البرتغالية، ومن قبل البيض باللغة اليدّية (العبرية الألمانية)، والليتوانية، والألمانية. كانوا جميعهم عائدين من أمريكا الجنوبية؛ كانوا يعتقدون أنهم سيحصلون على الثروة هناك، لكنهم لم يصادفوا سوى البؤس.

قمت سهوًا بالتلفظ بكلمة فرنسية، فاقترب منى نادل قاعة الطعام: " لو كنت أعلم أنك تتكلم اللغة الفرنسية لوضعتك على طاولة مع الألمان "، العرق الراقى يحصل على وجبة راقية. الهافر. فى الحافلة التى كانت تقلنا إلى شرطة المرفأ، قام الشرطى الذى كان يفحص جوازات السفر بالنظر بفضول وتمعن إلى جواز سفرى [١].

---

(١) أحد الروس ، اسمه جورجولوف، كان يدعى انتماءه للحزب الأخضر، كان قد أقدم لا أدرى لماذا على قتل الرئيس دومييه. لذا كان ينظر إلى الروس خاصة بعين الشك، وكنت لا أزال أحمل أوراق (Nansen) : روسى ، دون وطن – بإمكانه الخيار.

قلت للسيدة البلجيكية التي كانت على وشك مغادرتنا : " إلى اللقاء يا بلجيكا الصغيرة ". لوحت بيدها المكتنزة : "وداعًا يا فرنسا الكبيرة".

باريس بعد بضع ساعات، أخيرًا !

مونبارناس. فى ١٤ تموز، يوم عودتى.

" ميريه أوبينهايم "، الوجه نحيل عظمى، العينان خضراوان، أشبه بتمثال فائق الجمال، أكثر مما ينبغى ! أفقدها فى الاحتفال، أبحث عنها، لا أعثر عليها إلا فى اليوم التالى.

أمارس الجنس مع " ميريه " مرة واحدة، ستكون المرة الأخيرة.

كانت " ميريه " تجلس فى المقاهى لتختار فيها الرجال الذين يلائمونها، فتمضى الليل معهم، ثم تتجاهلهم، وهذا رائع !.. ولا تعود بعد ذلك تتبادل معهم حتى التحية.

لم يكن لها عشيق رسمى. أما جياكوميتى، وماكس إرنست، فقد أتيا فى وقت لاحق.

كانت ميريه رسامة، ونحاتة، للأسف !

حظيت فناجيلها المصنوعة من الغراء بإعجاب لا مثيل له فى المعرض السريالى العالمى فى نيويورك. لا أدرى ما كان يمكن أن يكون رأيى فى فناجيلها، على أية حال، أنا لا أحب رسمها أيضًا : الأقرب إلى التقليدية، وإلى عالم الأدب.

ماذا يمكن أن أقول لها ؟ إننى أفضل سوتين ؟

سوتين تحديدًا. المرة الأخيرة التى التقيت به فى الشارع، كانت بشرته شديدة الشحوب.

وكانت مارى – بيرت أورانش شقيقة المخرج السينمائى تعالج بكل تفان هذا المريض الخطير.

كتبت قصائد أهديتها إلى ميريه، وقامت دار " كاييه دو سو " (Cahiers du sud) بطبعها.

تضاءل عدد الغارات التى كانت تقوم بها الشرطة فى شارعى " فافان " و" بريا ". كانت الجبهة الوطنية تهيئ نفسها بهدوء. وعندما تنجح فى الوصول، تتوقف الغارات لفترة ما.

رحلت ميريه إلى ألمانيا.

١٩٣٤. دعيت إلى " ستريفوفا " القرية السلوفاكية.

مازال الحكم بيد أليكساندر الثالث، وصور الملك والملكة معروضة على كل الجدران، وفوق هذه الصور نقرأ هذه الكتابات : " لا تقسموا زورًا باسم الرب، ولتكن وضعياتكم محتشمة ".

أقمت عند الطبيب X. صديق قديم لمارى جيرينجير، ليبرالى مسالم، لكنه يملك الكثير من الكتب، ويعزف على البيانو، يمتنع فى بعض الأحيان عن المشاركة فى اجتماعات " السوكول " إذ يشك فى أمره.

كان يتلقى يوميًا رسائل تهديد : " سنقتلك كما قتلنا كلبك. "

لقد دعانى للإقامة عنده كى يتقن جيدًا اللغة الفرنسية.

أعلم، عن طريق الصحف، بأحداث شباط : المسيرة نحو مجلس النواب، محاولة القيام بانقلاب فاشى، ورد الطبقة العاملة المضاد.

استفحل السفلس والسل فى الأرياف. الرجال، والنساء، والأطفال مكدسون فى غرفة واحدة، فى فوضى، يحتضرون، وقد تحولوا إلى هياكل عظمية. لقد رأيتهم، إذ كان الطبيب يصطحبنى معه أحيانًا فى جولاته.

أنا فى حالة سيئة جدًّا، أحاول الكتابة فلا أستطيع إلى ذلك سبيلاً. وفى إحدى الليالى، أفهم فجأة ما الذى يوقفنى، ذلك لأننى لم أكن قادرًا على استخدام الكلمات التى تبدأ بحرف الميم، ولا حتى التى توجد فيها. شعرت بالخوف.

سقط جواد أمام نافذتى، مسقطًا العربة من جراء ذلك.

علمت من الطبيب x أن هناك ماخورًا على الحدود الهنغارية القريبة جدًّا، كنت قد تلقيت لتوى بعضًا من المال، فهرعت إلى ذلك المكان.

أقمت بشكل ما فى هذا الماخور الحدودى، بقيت فيه لعدة أيام متتالية دون اكتراث، سعيدًا، الرجل الوحيد وسط الفتيات، (مع "القوادة" التى لا غنى عنها بالطبع)، نائمًا غالبًا على الأرض تحت

الفتيات، بينما كن يثرثرن، يرشفن من تلك المغامرة اللذيذة، ويفعلن أى شيء يخطر على بالهن، وكأنما دون انتباه، كن يمررن أقدامهن العارية فوق وجهى، ويضحكن.

كن يضحكن لأننى لم أكن أتكلم لغتهن.

لاسيما إحداهن، " دوشا "، مازلت أذكر اسمها حتى الآن، كانت تبدو لى مغرية على وجه الخصوص. كنا نلعب لعبة القطة المعلقة فى الأعلى مع دوشا، ولعبة اليد الساخنة، لم يكن عمرها يتجاوز السادسة عشرة، وكانت تستمتع بلهوها، ولكن كونها دربت آنفًا على المهنة، فقد كانت تستخدم كل قدراتها فى اللعبة : إذ كان على، وسط كل تلك الألعاب التى ابتكرت هى بعضًا منها، الخروج حافيًا فى الثلج، والجرى. كانت تلحق بى متوعدة بطريقة مازحة، وبعد ذلك كنا نعود، أنا ودوشا يدًا بيد كالأطفال إلى البيت المدفأ جدًا.

عند العودة، لقاء " تساكو فيتش ".

على واجهة مقهى المدينة " الأنيق " المحاط بشجرتى نخيل عاريتين، كتب إعلان بالحبر البنفسجى : ستتحدث مدام x هنا هذا المساء عن عبقرية الكونتيسة دو نوواى.

الفصل الثامن

أغاتا

١٩٣٣ تغير مقهى "دوم"، فقد أصبحت قاعته الخلفيـــة مليئـــة بالمهاجرين من اليهود الألمان؛ كان بعضهم يلعب الشطرنج، وبعضهم يفتح الصحف، وبعضهم الآخر يتناقش، ويعبر بحركات الأيدى.

ثمة يهودى قصير القامة، خصلة شعر على جبهته، يقوم بتقليـــد هتلر.

١٩٣٥ "مارت روبير"، بجوارب حريرية سوداء، وشعر مرسل، تذكر بنجمة أفلام سينمائية صامتة؛ كانت تقرأ "مونتينى"، وفى الطرف الآخر من مقهى "دوم"، كنت جالسا" أكتب. لم أكن أستطيع رؤيتها مـــن المكان الذى كنت فيه. أسمع "آرتو" يخاطبنى فجأة : " أدامـــوف، هـــل تصدق أن هناك من يقرأ مونتينى فى وقتنا الحاضر ؟ !" يتجه نحوى : " إنها امرأة شابة وجميلة، لقد وبختها وتركت فيها أثـــرًا عميقًـــا دون شك". كان عند آرتو موعد فى مقهى "ســـيليكت"، فيتركنـــى ويـــذهب. فضولى، أنهض لكى أرى تلك المرأة الشابة الجميلـــة، أعـــرف فيهـــا مارت، عندها آخذ بالضحك.

مقهى "دوم" أيضا". ألمح بين مجموعة من الرسامين امرأة شابة، وحزينة، وصامتة، بشعر خفيف شاحب اللون. حول عينيها عدد وافر من التجاعيد الصغيرة، مع أنها ما تزال طفلة تقريبا".

كانت تجلس على طرف الطاولة، ويداها منبسطتان على الركبتين، لم أتوقف عن النظر إليها، وأفكر بها طوال اليوم. أراها في اليوم التالي في "دوم"، وحيدة هذه المرة، أتكلم معها، تخبرني عن اسمها : "أغاتا"، إنها ألمانية.

مارت وزوجها يعرفان صديق أغاتا؛ وهو رسام بلجيكي، أصبح اليوم مشهورا".

كانت أغاتا جميلة جدا"، ولأنها لاتعرف ذلك، فهي تحس بالضعف.

في أحد الأيام، وبينما كانت مستلقية في سريري، تغرورق عيناها بالدموع : "لو كان باستطاعتي أن أكون مثل مارت ". وهذا يعني بالنسبة إلى طريقة تفكيرها، أن تستطيع مغازلة الرجال دون أن يسبب ذلك بالضرورة أية مشاكل؛ وألا تكون محاطة بجدران؛ وأن يكون بوسعها أن تستحوذ على انتباه جماعة من الناس وهي تتكلم؛ وأن تضحك وتشرب وتفكر، في الوقت نفسه. كم حاولت أن أشرح لها أن الحياة بالنسبة إلى مارت ليست مريحة أيضا"، ولم تقتنع بذلك.

كنت أريد، أو بالأحرى كنت أظن بأننى أرغب بالعيش مع أغاتا، ولكن، حتى ولو وافقت هى على الانفصال عن صديقها، فكيف يمكن أن نعيش ؟ وبأى مال ؟ كنت أضع أملى كله فى ترجمة "كتاب الفقر والموت" للشاعر الألمانى "ريلكه". كنت أعتقد أن الأبواب جميعها ستفتح لى فور انتهائى من الترجمة. ومن ناحية أخرى؛ إن كلود بورديه الذى طالما مد لى يد المساعدة لن يتأخر هذه المرة أيضا".

كنت أعلم فى أعماق ذاتى أن ترجمة "كتاب الفقر والموت"، ومساعدة كلود بورديه لن يكونا كافيين لدفع إيجار غرفة فى فندق كل شهر، ولتأمين غذائنا. ولكنى كنت أكذب على نفسى وأكذب على أغاتا. وواقع الأمر إننى كنت أهرب من مسؤوليتى، وألقى بمشروعى فى مستقبل غامض.

استمرت هذه اللعبة عدة سنوات.

لم يكن وضعى كمهجَّر عديم الجنسية يصلح الأمور، فالإقامات المتكررة التى أمضيتها فى المخافر والمراكز العليا للشرطة، كان عليها أن تعلمنى أكثر مما حصل.

١٩٣٥ فى إحدى الليالى، وأنا جالس على ضفة نهر السين، يمر شرطيان ويوقفانى؛ كنت فى وضع غير قانونى؛ إذ كان على أن أجدد

بطاقة هويتى كغريب منذ شهرين، وأن أدفع ثمن طابع "تانسين" (Nansen) [١] أيضا".

مراحيض المخفر حيث أمضى الليلة. كان هناك أحد المسنين، مخبولا"، وجلفا"، بثيابه الرثة، ونصف نائم. أرادت الشرطة أن تضعنى مكانه، لم ينهض العجوز بالسرعة الكافية، فانهالوا عليه بالضرب، فتدفق الدم منه. كنت أرغب بالانقضاض على رجال الشرطة، لكن الخوف منعنى.

ينتهى بى المطاف فى الإدارة العليا للشرطة، بعد إقامة قصيرة فى مخفر آخر. أوضع فى غرفة سيج قسم منها بقضبان، وأغلقت بمفتاح، وهى مخصصة للذين سيتم ترحيلهم خارج البلاد، وقد ألقيت سهوا" فى هذا المكان.

شحاذ بلجيكى قابع هنا، مغطى بالحشرات، يحك جلده؛ وطالب أرمنى ذقنه غير حليقة، متورم، ومغطى بالكدمات الزرقاء، يقال إنه قام بتوزيع منشورات شيوعية فى الحى اللاتينى.

يفتح الباب أحد مفتشى الشرطة، من أصل شمال-أفريقى، من المفرزة الخاصة بشارع "لوبيك"، ويمد رأسا لعينا بوجه بارز العظام. من كان من ثلاثتنا الشخص الأضعف، والذى وصلت حالته إلى درجة

---

(١) طابع ضريبى للأجانب – المترجم

كبيرة من السوء ؟ إنه الطالب الأرمنى دون أدنى شك. إليه إذًا يتوجـــه المفتش الرحيم بالكلام :

" إذا كان تغريدك مساويًا لريشك

فإنك عنقاء ضيوف هذه الغابات ".

إن الغضب الذى كنت أحاول كبح جماحه بصعوبة بالغـــة فـــى المخفر ينفجر الآن :

"بما أن هذا السيد لا يتكلم الفرنسية؛ فهو لن يستطيع أن يتـــذوق هذه القطعة من الأدب الفرنسى".

عندها، يصبح وجه المفتش الشمال- أفريقى بغتة شديد الحمرة، يقترب من القضبان لكى ينهال على بالضرب، لكنها كانـــت موصـــدة بالمفتاح، وكان الحارس غائبا" : "الحقير، لقد ذهب مرة أخـــرى إلـــى الحانة ليشرب، أراهن على ذلك".

يفتح المفتش الباب الذى دخل منه، وقبل أن يختفى :

"لن تخسر شيئًا" إذا انتظرت".

أحس نفسى ضائعًا، معاقبًا بتعسف، بدورى...

خمس دقائق تمضى، يقترب شرطى، ويفتح الزنزانة، إذ كان لديه مفتاح، يقول : "اتبعنى"، أطيع، فأتبعه.

أجد نفسى داخل حجرة مكتب، وجها" لوجه مـــع ســـيد مـــسن، ومحترم، بشعر أبيض، يتقلد وسام الشرف.

أتلعثم : " هناك خطأ ما ".

– أعلم ذلك، ولكن حاول أن تدفع ضريبتك للأشـــهر المتـــأخرة خلال الشهرين القادمين.

– الآن إذا أردت.

– لقد قلت لك خلال الشهرين القادمين، مفهوم ؟ !

كنت مذهولاً وطليقًا.

١٩٣٦ ما إن أعلنت الجمهورية الإسبانية حتى قام فرانكو، العائد من المغرب، والمتأكد من تحالفاته، بمهاجمتها. وتتشكل ألوية متعـــددة الجنسيات من أجل الدفاع عنها. أفكر وأغاتا، وقـــد فاجأنـــا الاهتمـــام بالسياسة، بالتطوع فى الحرب الإسبانية.

آخذ بالتردد إلى مكاتب التجنيد الشيوعية، والفوضوية، بالتناوب. كان الفوضويون يقطعون عهودا" للمتطوعين بأنهم لن يفـــصلوا عـــن النساء اللواتى يرافقنهم، ولم يعد الشيوعيون بشيء. كنا نميل إلى جهـــة الفوضويين، ولكننا لم نكن بعد صممنا على شيء.

إن سوء حالة أغاتا الصحية على الصعيد النفسى يجعلنى أحجـــم؛ إذ إنها ما إن تغمض عينيها حتى تبدأ بتخيل نقالات مرضى، ومحاجر

صحية، وجرحى. فهل كان ذلك حقًا الوقت الملائم لاصطحابها إلى هناك، حيث يوجد جرحى حقيقيون ونقالات حقيقية ؟

أسأل نفسى أيضا" عما كنا فاعلين فى إسبانيا، وكيف يمكن أن نكون ذوى فائدة. أتخيل أننا سنكون عاطلين، ضائعين، ثم؛ نحن لا نتكلم لغة البلاد، وهذا يصيبنى بالذعر.

فى نهاية الأمر، نقرر الذهاب إلى إسبانيا، ولكن يأتى صديقى "كرامير"، دائما كشيطان خرج من الصندوق، ليعرض على مرافقته إلى أيرلندا، لا أتردد، وأرحل معه.

أقسم وأغاتا أن نتبادل الرسائل كل يوم.

نفى بوعدنا، ولكننا نعلم منذ ذلك الحين أننا لن نعيش بعد ذلك معًا أبدًا.

الهروب إلى أيرلندا، تم الموافقة عليه من كلا الطرفين.

الفصل التاسع

رهن الاعتقال

١٩٣٦- القسم الجنوبى- الغربى من أيرلندا، بنفسجى تحت الشمس الصفراء. أجد شخصية أبى فى صديقى كرامير، فأحس بالكراهية تجاهه. لماذا يأخذنى هكذا على عاتقه ؟ ولماذا يريدنى دائما" أن أكون بقربه ؟

الوعد المجنون الذى يقطعه كرامير : أن تأتى أغاتا للقائى هنا، ولسوف نتدبر الأمور. أصبحت أغاتا بدورها متبناة !

إن "كيتى" الحدباء القصيرة، بعينيها المطفأتين، وابتسامتها الطفولية الشهوانية، تعلمنى الإنجليزية. كانت تؤمن بحوريات البحر، وبالشياطين. كانت ترى نفسها فى أحلامها وهى ترتدى ألبسة واسعة جدا" بالنسبة إليها.

يأتينى بغتة نوع من الإلهام، أن أبحث عن أصداف بلح البحر، وبلح البحر شيء يؤكل سيثبت لى كرامير ذلك، وسيكون بإمكانى أن أتخبط فى الوحل الذى سيلطخنى كليًا. أنتزع تلك الحيوانات المسكينة المرتعشة، المكسوة بالسواد، من الصخور العالية التى تخفيها وتسجنها، فأجرح يدى، ويسيل الدم منها، وتعترينى تلك اللذة الغامضة المعروفة.

أودع كرامير، لقد استطعت الحصول على المال، فأغادر أيرلندا.

أريد اللقاء ثانية بآغاتا ومارت ودوم المونبارناس. تحملنى سفينة شحن تنقل القواقع إلى "كاماريه".

أحلم ككل الشباب بالتعرف إلى أشخاص مشهورين.

كان يقيم فى كاماريه "سان-بول رو"، فأذهب إليه فى قصره الريفى الصغير. يوافق الشاعر الطاعن فى السن على استقبالى رغم حالته شديدة السوء. يحدثنى عن ابنته "ديفين"، البالغة من العمر خمسين عامًا على الأقل، كما لو كانت فتاة صغيرة جدًّا. يقول مشيرًا بيده إلى جهاز المذياع : "نحن لا نستخدم هذا الجهاز أبدًا، لا أنا ولا ديفين، فهو لا يخبرنا شيئًا مهمًّا عن العالم".

١٩٣٨ يتحدث الناس فى باريس أكثر وأكثر عن الحرب التى على وشك الانفجار. كنا، أنا وصديق أغاتا، نخشى أن يلقى القبض على أغاتا لكونها ألمانية. نقرر بالإجماع أن نرسلها إلى زيوريخ حيث تسكن عند الرسام "هونزيكر"، أحد الاصدقاء.

ولكن، قبل أن يوقع "دالادييه" و"شامبرلان" معاهدة ميونيخ للسلام، ضامنين بهذه البادرة "الأمن" الأوروبى، تعود أغاتا الحائرة إلى باريس، وما إن تصل، حتى تأتى لتراني، فنبكى معًا من الفرح والوهن.

أسكن فى شارع "دى كانيت"، فى الفندق نفسه المليء بالعث الذى يقطنه "روجيه جيلبير لوكونت".

أراه ذات صباح غافيا" بكل ملابسه، وحقنة الدواء مغروزة فـــى فخذه، أحاول إيقاظه دون جدوى.

فى المرة الأولى التى التقيت فيها بـــ "هوغيت" بعد غياب، كانت تمشى تحت المطر، وطفلها المريض بين ذراعيها، وكانت تغنـــى لـــه ألحاناً كاتالانية ثورية. كان "ميليكوا"، والد الطفل، الـــذى ينتمـــى إلـــى الجماعات الفوضوية، مازال فى برشلونة، معتقلاً لدى الفـــرانكيين دون شك.

تموز ١٩٣٩- أصبح الجميع يعلم أن الحرب قادمة لامفر منها.

تتزوج أغاتا من صديقها بموافقتى، ستحصل هكذا على الجنـــسية البلجيكية على الأقل، ولن يكون عليها بعد الآن أن تخـــشى الاعتقـــال، بذريعة أنها ألمانية، وفى حقيقة الأمر لأنها ضد الفاشية.

شارع "لومبار"، حيث ظنوننى شاذاً.

تطلى إحدى المومسات وجهى بالمساحيق، وتقول لى : "هكذا لـــم يعد ينقصك شيء. أتركها تفعل ماتشاء، تطلب منـــى مبلغـــاً إضـــافيًا، فتحصل عليه.

أتعرف فى "دوم" إلى "جوستاف بولان"، وهـــو رســـام ســـويدى شاب، يعرف كيف يرسم !...

أتعرف أيضًا إلى "دارينا"، وهى فتاة أيرلندية، ونقيـــة، ســـمراء بعينين زرقاوين، سترحل خلال أيام إلى رومـــا حيـــث تتعـــرف إلـــى "سيلون"، وتصبح زوجته، وتفقد رشاقتها.

لقد أمضينا أنا وهى ليلة كاملة نتبادل فيها القبل.

يقرأ لى "جان كاريف"، فى"دوم" طبعًا، قصة كان ترجمها عـــن الألمانية، لكاتب اسمه " فرانتز كافكا ". أجد ومارت القصة رائعة.

ومنذ ذلك اليوم، تبدأ حياة مارت بالتغير.

وفاة "هوغيت" فى مصح "سانت آن"، حيث تـــم نقلهـــا بـــسرعة، مصابة بجنون مبكر.

حزيران/يونيو ١٩٤٠. الرحيل الجماعى. توقف قطارنـــا فـــى مدينة "شارتر". فى إحدى الشاحنات، كنت أقبع بوهن علـــى الأرض، قرب فتاة عارية الساقين.

الطائرات الإيطالية تنقض على جموع اللاجئـــين. نهـــرع إلـــى الحقول لنتوارى عن الأنظار. مازلت حتى الآن أسمع صوت "فيفيـــان فان لير" تصيح لأبيها، تاجر اللوحات : "أبى !... أ رأيت جيدا"، كـــان الأحرى بنا لو بقينا فى "دوم".

مارسيليا، وحيدا" دون فلس واحد، أمضى ليلة عند أتباع منظمـــة جيش الخلاص. ينتهى الأمر بشجار فيطردونى. وأمضى ليلة أخـــرى

مع متطوعين، من جنود بولنديين وتشيكيين، في غرفة في حي الموسات القديم، وسط القذارات والبراغيث، لم يعد له أثر الآن.

لقائي مع "فيكتور سيرج" الذي كان على أهبة الرحيل إلى نيويورك. يراني على ضفة "ديه بلج"، مرتجلاً مناديًا، بائع صحف بائسًا، " لقد وصل الأمر معي إلى هذه الدرجة !... "

هنا سنحت له الفرصة لكي يقول لي إنه من الجيد أن يعمل الإنسان بكل المهن، ويضرب لي مثالاً على ذلك "بانيه إيستراتي".

لقد كدت أن أصفعه.

أقوم بإنجاز أحد أندر التصرفات الشجاعة في حياتي، بالالتحاق بآغاتا في "كاركاسون"، حيث كان اللاجئون البلجيكيون يقيمون في مساكن تحت المراقبة، وذلك رغم التعليمات الدقيقة التي توضح أن الأجنبي الذي ينتقل من مدينة إلى أخرى، دون الحصول على إذن من إدارة مراقبة الشرطة العليا، سيتم اقتياده إلى معسكر الاعتقال. ولكن ذلك كان سيان عندي، لقد كنت أريد لقاء أغاتا والتقيتها. كيف استطعت أن أتركها ؟ !

كاركاسون مكتظة برجال الشرطة

أنام عند "روت" التي وضعت بخاصة تحت المراقبة، لقد كانت تعرف الكثير من الأسبان، أكثر مما ينبغي.

فى بار محطة القطار حيث ترافقنى أغاتا، نلتقى بإلزا تريوليه، وأراغون، وبولان، وبيندا.

مارسيليا مرة أخرى. "روجيه بيجو" الذى كان فى ذلك الوقت صديقا" لـ " إليزابيت م."؛ إحدى اليهوديات الألمانيات التى سيتم اعتقالها فيما بعد فى منطقة "فال ديزير" على ما أظن. كان يترنم بالابتهالات الكنسية بمجرد ظهور الشرطة. كان يأمل بهذه الطريقة ألا يسألونا عن أوراقنا.

أثبتت الوقائع، أكثر من مرة، أنه كان محقاً. ليس غريباً إذاً أن أمقت هذه اللازمة المبتذلة بحد ذاتها.

آخذ فى تعاطى الكحول أكثر فأكثر.

غارة الشرطة. فى أحد الأيام، عندما كنت أتنزه وحيداً"، كانت مخافر الشرطة كلها تغص بالموقوفين، ينتهى بى الأمر إلى مسرح "جراند تياتر" حيث أمضى الليلة وسط ديكور لمسرحية "لورانزاتشيو " [(١)].

كان هنالك الكثير من اليهود.

---

(١) وهى مسرحية لألفرد دو موسيه . المترجم

من وقت لآخر، كان أحد رجال الشرطة يظهر من خلال الضوء الخافت، وينادى بأسماء أجنبية على نحو مشوه، كان الأشخاص المنادى عليهم يصطفون دون حركة، صامتين، خاضعين، ينتظرون.

١٩٤١ أخيرًا يسجل اسمى فى قائمة اللجنة الأمريكية أتنفس الصعداء من جديد. أخيرًا، أحصل على غرفة تخصنى، تخصنى وحدى.

فى بار " برولور دى لو " ألتقى بأندريه بروتون الذى كان فى حالة عبور فى مارسيليا، (وقد كان راحلاً هو الآخر إلى نيويورك)، ونتصالح.

"جورج مالكين "، وقت إغلاق البار، وحيدًا، يلتقط أعقاب السجائر الملقاة هنا وهناك.

(ل.) فى طريقه إلى بيونيس آيريس، مارًا بمرسيليا، يخبرنى عن المغامرة الأكثر مأساوية التى لم يسبق أن حدثت له : " تصور أن جورج، لابد أنك تذكره، دلالى العقارى كما كنت تدعوه، أى نعم، جورج، الذى كان يدعى أنى لم أدفع له بسخاء كاف نظير خدماته (من أجل هؤلاء الصعاليك الذين كان يلتقطهم لى)، لقد وشى بى بصفتى يهوديًا، واستمر بمزاولة مهنته فى باريس كمدير مسرح. وقد وشى بى لمن ؟ أراهن أنك لن تحزر !.. إلى رئيس صحيفة "فرنسا العاملة"، أنت تعلم جيدًا، ذلك العجوز اللوطى المخنث الذائع الصيت، الذى كان قديمًا تاجر تحف فى مدينة طولون.

لحسن الحظ أن جورج أصابته صحوة ضمير في اللحظة الأخيرة، وذهبنا أنا وهو لمقابلة المدير الذى ما إن عرف أننى المعنى بهذه المسألة حتى انقلب موقفه رأسًا على عقب، وتكلم عن بروست، وقال إنه، بطبيعة الحال، هنالك فرق كبير بين يهودى ويهودى، لقد نجوت بنفسى لأن المقال اذى كان سينشر ضدى بقى على رخام المطبعة. ولكننى مع ذلك، آثرت مغادرة باريس، أنت تفهم... أليس كذلك؟ "

٨ أيار / مايو ١٩٤١. يتم اعتقالى وإرسالى على متن السفينة "ماسيليا" إلى مقر ما لم أعد أدرى تحديدا" أين يقع، حيث أمضى أسبوعا"، ثم ارسل إلى "آرجوليس" حيث مخيم الاعتقال : " لقد سمعت وأنا أدلى بتصريحات ضد حكومة فيشى. "

لا أزال مخلصًا لطقوس تطيرى الخرافى. قبل أن أنام، يجب أن أشعل عود ثقاب. إنه اللهب الذى يخلص.

ولكن فى إحدى الليالى الأولى التى قضيتها على متن "ماسيليا"، لم أكن أملك ثقابًا، وفى عنبر النوم كله لم يكن بحوزة أحد ثقاب أيضًا، أتوقع أن يحدث الشىء الأكثر سوءًا. لم أكن مخطئًا.

ليل نهار، رجال ونساء، وأطفال من كل الأعمار، من كل الجنسيات، يصطفون وأوراقهم فى أيديهم، أما باب مكتب الشرطة الذى أقيم بارتجال على متن السفينة. إنهم يأملون أن تتسنى لهم الفرصة لشرح أمرهم، وأن يفتح الباب؛ لكنه بقى موصدًا.

التدخين ممنوع على متن "ماسيليا". على القنطرة، رجال الشرطة يعقفون أذنى رجل مسكين لأنه خـالف التعليمـات. المـذنب يتـرنح، ويسقط، ينهال عليه رجال الشرطة بضربات النطاق.

لا أستطيع منع نفسى من التدخين، يلحظنى أحد المفتشين بعينيـه الآسيويتين، من الهند الصينية. يقول لى : " سأتمكن منك، أنت، انتظر وسوف ترى. " الإسبانيون يجعلوننى أتنكر بشعر مستعار ولحية زائفة.

يجوب المفتش عنبر النوم جيئة وذهابا"دون أن يتعرف على.

أحد اليافعين، قصير القامة، أشبه بطالب ثانوية، بخدين متوردين، حديث الحلاقة، يمر أمامنا، يستعرضنا : " على كـل المتـزوجين أن يخطوا خطوة إلى اليسار، سيكون بإمكانهم أن يذهبوا إلى بيوتهم لكـى يودعوا زوجاتهم. " الأزواج، مندهشين، فرحين، يطيعون.

عندها، ينبرى الفتى قصير القامة، بصوته الواهن : " ادخلوا فى النسق، هل تسمعون، فى النسق. " أصوات احتجاج. رغم أنه كان قـد قال آنفا"، هذا وعد...

" ماذا، هل قلت شيئًا"، هل وعدت بشىء، أنا ؟ !

وفضلاً عن ذلك، ما عليكم إلا أن تقفلوا أفـواهكم. ربمـا يظـن الغرباء أنهم من يقرر الأمور فى فرنسا !"

كنا عل الأقل خمسين شخصًا سجلوا اسم ذلك الـشرطى القـذر الذى مازال فى مرحلة التدريب : "بادوليه"

الفصل العاشر

أرجوليس- سور مير ومركز الإقامة

١٦ أيار / مايو ١٩٤١، فى مخيم الاعتقال الجماعى فى آرجوليس.

قيظ خانق. حول حفرة تتراكم فيها فضلات الخضار، هنالك مخلوقات أغلبها عار، نحيلة جدا، بلا أسنان، تتجمع على عجل، تتعارك تقريبًا.

كانوا يقصون لنا شعرنا قصيرًا جدًا، إنه قانون معسكرات الاعتقال. وكان الحلاقون، وكلهم إسبانيون، يشرحون لنا أنهم لو عصوا الأوامر سيسلمون إلى فرانكو، بحسب التعبير المستخدم هنا، أو على أية حال، سيرمون مباشرة فى السجن، سجن المعسكر حيث المراسلة ممنوعة والطعام قليل.

رجل صينى، بخصلات شعره السوداء المنسابة على خديه، يبكى فى البار الصغير للمعتقل، إذا صح التعبير، أشعر بالخجل وأنا آكل خبز التين وأشرب الخمر الأحمر، أما عشرات من الرجال المتضورين جوعًا، القابعين بصمت يرقبوننى.

فى زنزانتى، اليهود الألمان من صغار التجار، كل ليلة وفى كل الليالى، يتجادلون حول أسعار البطاطا كم تساوى فى كوبنهاجن وفى لشبونة، وفى نيويورك؛ خلت أننى سأصاب بالجنون.

أضرب أرضية الزنزانة بعكازى لأطرد الجرذان.

موكب من الرجال، قضيب حديدى فوق أكتافهم يحملون دلوين مليئين بالغائط، يترنحون من الثقل.

لجنة التحقيق " ت. و. د. ت." (TODT) فى آرجوليس

يرسل الأجانب إلى هولندا لتعبيد الطرق، أى يرحلون.

مرحلة استثنائية سوف تدوم بضعة شهور، لم يكن الألمان خلالها يريدون يهودًا فى بلادهم؛ أما اليهود الذين كانوا فى فرنسا، أو فى أى مكان آخر، فيمكنهم البقاء حيث وجدوا.

فكرة عبقرية أملاها الخوف تخطر لى عندها : أن أدعى أننى يهودى.

كان المفتشان الألمانيان المرتديان ألبسة الجوخ الإنجليزى السيئ يعرفان أننى لاأكذب، وكان يضحكان بسخرية، ولكننى كنت مصمما"

" حسنًا، أنتم تعتقدون أننى لست يهوديًا، ولكن، سجلوا على أية حال فى أوراقكم أننى كذلك، بماذا يمكن أن يضايقكم هذا الأمر ؟ "

ينظر المفتشان الألمانيان أحدهما إلى الآخر : هل تريد حقًّا أن نضع كلمة "يهودى" فى أوراقك ؟

- نعم

يضحك المفتشان الألمانيان ويضربان على فخذيهما، يبدو أنهما يظنانى مجنونًا.

- حسنا"، ستبقى فى فرنسا

وقد وفيا بوعدهما.

وعلمت فيما بعد أنهما، مع ذلك، لم يضعا فى أوراقى كلمة "يهودى".

أتعرف إلى (س) الذى أصبح مفتشًا عن جهالة : كان يظن أنه قد حصل على عمل فى مركز إقامة الأجانب، ولكن المخيم يسبب له التقزز.

نتناقش حول الأدب. هو يحب رامبو، ويطلعنى على "مارغريت دو نافار".

مشكلة الصلع عند (س)، الذى لا يكف عن التذمر منها، ويستشيرنى، أنا المليء بالقمل، ليعرف إذا كان يمكن للمرأة أن تحب رجلا" يعانى من الصلع المتفاقم مثله

(س) يبذل قصارى جهده لكى أستعيد حريتي

يقدمنى إلى آمر المعسكر، هذا الأخير، وفى الحال : " ربما أنتم تظنون أنى أتسلى بينكم فقط لو لم أكن أحلم .. ها أنذا أحلم وهل تعلمون بماذا أحلم ؟... بأن تنفقوا جميعا". حسنا"، إنكم تنفقون الآن، ولكن أن أراكم أيضا" تنفقون طوال الليل.. وكل هذا خطأ فيشى الذى رمانى فى هذا الماخور. "

يمارس آمر المعسكر التجارة فى السوق السوداء، لم يعد هنالك شيء من اللفت فى صحوننا، الماء فقط، أما اللفت فكان يقوم ببيعه.

أفقد سنًا، ثم آخر، ثم عدة أسنان.

زيارة من فتاتين قادمتين من مدينة "بربينيان"، صديقتى (س.)، اللتين لا تفهمان (ولا بأى شكل) لم أنا معتقل، أنا المثقف جدًا. كانت الاثنتان تحبان بودلير.

كان لإحدى هاتين الفتاتين قدمان جميلتان وأظافر مطلية.

ولكن، لشدة بؤسى، بالكاد استطعت أن ألحظ ذلك.

أسقطت طائرة مدير الشرطة السابق (شياب)، التى كانت متجهة إلى سورية، من قبل القوات الجوية الملكية. شياب، هو صديق أوناسيس، مطارد الغرباء. أبكى من الفرح.

يقوم الإنجليز بإنزال قواتهم فى أيسلندا.

تصلنى رسالة كل أسبوع من السيد "شامبينوا" رئيس فئة الصاحبيين البروتستانت فى مارسيليا، الذى أحبه كثيرا". يتألف ثلث رسائله من مقتبسات عن باسكال وسانت أوغسطين، ولكن الثلث الأخير يعلمنى، بلغة غامضة طبعًا، بكل المساعى التى يبذلها من أجلى.

اسمى يأتى على لوائح "توماس مان" لمساعدة المثقفين المناضلين ضد الفاشية. أحصل فجأة على الكثير من المال، أكثر مما كنت أملك فى باريس. الحياة تتغير، أستطيع شراء الحراس الكورسيكيين كما أشاء.

من بين الشيوعيين المعتقلين فى معسكر "آرجوليس"، " اوتو جوتنير"، الذى أرتبط بصداقة معه منذ اللقاء الأول. نقرر أن نهرب معا". يقوم (س) بتهيئة هروبنا.

أتقاسم كل ماأشتريه مع جوتنير، ولا أعطى شيئًا للآخرين.

مازلنا فى سجن الإسبان، وكانت الأرجل الصناعية لمحاربى الحرب الأهلية معلقة فوق الأسرة

فى كل ليلة، ينشب شجار بين الفوضويين، والتروتسكيين، والشيوعيين.

أحد حراسنا، بوجهه المتطاول الملتحى : " من كان يصدق أنني أمارس هذه المهنة، وقد تدربت قبلاً على مسرحية "بوليوكت" [1].
ولكن، فى تلك الفترة بالتحديد، هذه الحرب اللعينة، لم نتمكن أبدًا من تمثيل المسرحية.

كان على أن أهرب فى ١١ تشرين الثانى/نوفمبر.

قام الصاحبيون البروتستانت بإطلاق سراحى فى العاشر منه.

اوتو جوتنير يستفيد من خطتنا، يهرب، وينجح هروبه بمعجزة.

حصلت على أخباره.

أصل إلى مرسيليا فاقد الوعى من السكر.

---

(١) مسرحية للكاتب الفرنسى كورنيى . المترجم

الفصل الحادى عشر

باريس تحت الاحتلال

روجيه-جيلبير لوكونت

الأيام الأخيرة

تشرين الثانى/نوفمبر ١٩٤١. مرسيليا.

الشرطة تغير على الشوارع فى كل ساعة من النهار، تماما" كما فى السابق، لحسن الحظ أننى أملك بطاقة لا أفترق عنها أبدا"، حدد فيها أنه يحق لى "الإقامة فى منطقة بوش دو رون إلى أجل غير مسمى".

أقطن الآن عند إيرين و(ج. س.) صديقها.

لقد كان بيكاسو هو الذى أعطى لإيرين المال من أجل السفر، وكانت وصديقها قد قدما على طريقة (اوتو ستوب)من رويان إلى مرسيليا.

تعترف لى إيرين بأنها عادت من جديد إلى تعاطى المخدرات، كما لو أننى لم ألحظ ذلك من الوهلة الأولى، من صوتها المتباطىء، وحدقتى عينيها المتضائلتين.

أراها فى الحقول، ثوبها مرفوع، وحقنة المخدرات فى يدها.

كانون الثانى/يناير ١٩٤٢. باريس تحت الاحتلال. الرجوع من مرسيليا. أنا مندهش لأن الشرطة لا تلقى القبض على فى محطة القطار نفسها، (جار دو ليون). باريس مدينة حرة لمن لا يعرف الاعتقالات لرجال المقاومة واليهود فى البيوت. كيف استطعت تجاهلهم كل هذا الوقت الطويل ؟

تخبرنى أختى بأن أمى، الذى تفاقم السل عندها، موجودة الآن فى مشفى (بريفان).

مقهى دوم. فى الصالة الخلفية، حيث يتكوم فى الأيام السالفة، المهاجرون اليهود، بحركاتهم العصبية. ثمة جندى ألمانى، وحيد وحزين، يكتب رسالة.

ألتقى ثانية وبفرح كبير بـ مارت التى كانت قلقة على زوجها، جاك جرمان، السجين فى ألمانيا.

الرسام "ميشونز"، النجمة الصفراء (١) على عروة الأزرار، واقفا" فى شارع مونبارناس، أمام دوم، يقوم بأداء دور المهرج، محركا" يديه. هل أدخل... أم لا أدخل ؟

اذهب لزيارة روجيه جيلبر لوكونت، فلا أعثر عليه.

---

(١) النجمة الصفراء رمز لليهودية، أجبر النازيون اليهود على تعليقها على صدورهم أثناء الاحتلال النازى لفرنسا . (المترجم)

أمام مشغله، فى البار حيث كان يمضى الساعات وهـو يـشرب ويتحدث، أسأل عنه صاحبة البار الصغير، وهى امـرأة عجـوز فـى السبعين من عمرها تقريبا"، "مدام فيرما"، فتقول لى إن روجيه يعـيش حاليا" عندها.

" تفضل بالدخول، سيكون سعيدًا جدًا برؤيتك. "

أدخل إلى غرفة تثير الاشمئزاز من القذارة؛ أعقاب لفافات تبـغ، ورماد متناثر، كتب ملقاة على الملاءات، وكتب تغطى أرضية الغرفة. إنها غرفة روجيه.

أجده فى السرير، مازال بالتأكيد تحت تأثير المخدرات، وحقيبتـه التى كان يلقى فيها مخطوطاته دون أن يعيرها أى اهتمـام، كالعـادة، مفتوحة إلى جانبه. عند دخولى، يتبدل وجهه. أسأله عن أخبار "روت" وصديقتها اليهودية، فيأخذ فى البكاء كالأطفال. يبلغنى أنه ألقى القبض عليها من قبل الميليشيا قرب "كاركاسون"، ثم سلمت إلى الجستابو.

" ليتنى استطعت الزواج منها وإعطاءها الجنسية الفرنسية، لكنك تذكر دون شك قوانين السيد "دالادييه". بالطبع أذكر.

كان أحد هذه القوانين يمنع كل فرنسى من الزواج بمهجرة. كانت فرنسا آنذاك قد دخلت فى طور الفاشية.

موت أمى فى مشفى "بريفان". لن أراها بعد اليوم. هذا مستحيل.

روجيه متبنى فعلاً من مدام فيرما.

مشهد يتكرر كل يوم. روجيه يتوسل إلى أن أذهب لعند (إكس.) لكى أنقذه من ورطته، كما يقول. يتوجه نحوى بوجهه البائس، الوسيم، المتذلل، الواثق بى.

روجيه بعينين زرقاوين جاحظتين، ووجه شفاف كما لو كان قد طلى بالمينا، نحيل محدودب الظهر، يتكىء على عكازه.

تتحول حياتى إلى كابوس. لم يعد هناك طبيب فى باريس، الدائرة الرابعة عشرة، لم أمض عنده ساعات طويلة أنتظر، وأنا أتوسل إليه أن يصرف وصفة "لودانوم" [1]، تحت أى اسم. كان الهيروين وحتى المورفين قد اختفيا من السوق الباريسية.

روجيه، بلطفه الزائد، شبيه بفتاة صغيرة.

جنونه، الكامن فى رغبته بأن يقتصر الكون بكامله على نظام واحد، عنوان كتاب لن يتمكن من إنهائه، سيضع فقط خطوطه الأولية : العودة إلى كل شىء. عبثا" كان قد تخاصم مع "دومال"، لكن تلك العجوز الغبية الميتافيزيقية فى مسرحية "اللعبة الكبيرة" مانزال تعيش فى داخله.

لماذا لا يكتب القصائد فقط ؟ إن قصائده بالغة الروعة.

---

(١) لودانوم : عقار ممزوج بروح الأفيون . (المترجم)

أطلب من روجيه أن يراجع مسرحيتى "الاعتراف" التى شارفت على الانتهاء.

إنه يجلس إلى طاولة بار "مدام فيرما"، لقد نال حصته من الطعام، حدقتاه منغلقتان، فهو نصف نائم، ولكن يكفى أن يكلمه العمال الواقفون على المشرب، حتى يقف ويقدم لهم مشروبا" على حسابه، ويقص عليهم الأقاصيص.

إنه يعرف كل شيء : كيف تركض جياد السباق فى أستراليا، وكيف ينظم إضراب فى مصنع. يدفع الزبائن المكتسبون له ثمن الشراب، فهذا دورهم الآن. روجيه محبوب، يستحوذ على إعجاب الجميع.

روجيه يعرج، وهو يتصبب عرقًا.

نزهات مقيتة فى ضاحية "آنيير" حيث رافقته، بعد أن وعدته أن أطلب وصفة من الطبيب (س.). كان قد طلب منه الوصفة ذاتها مساء اليوم الفائت.

على الرغم من توبيخاتى، يستمر روجيه فى حقن نفسه بمادة "لودانوم"، وهذا جنون بحد ذاته، إلا أن أثر هذه الحقن فى الواقع لأشد عنفا". يعاند روجيه حتى يصاب بالتيتانوس.

أجد قطة سوداء ضخمة مستلقية فى سريرى، جاءت من حيث لا أدرى، لم أكن بعد قد لاحظتها أبدًا. أطردها.

نقل روجيه جيلبر لوكونت فى حالة إسعاف إلى مشفى "بروسيه" ثم مات فيه. كان لتوه قد حصل على إرث، القصة التقليدية ذاتها.

شارع "كينكامبوا"، فى الصالة الخلفية فى أحد البارات الصغيرة، أجلس، مستندا" إلى فتاة.

فى الطاولة المجاورة، رجال يبدو أنهم "قوادون"، يلعبون بالورق.

أطلب من الفتاة أن تقوم بضربى...

ألتقى بصديق، وهو رسام سويدى كنت عرفته أيام الحرب الغريبة، "جوستاف بولان"، مازال كما عهدته يحب فان غوغ حتى الجنون.

أعين فى تسليم البضائع للمشترين عند صاحبة مكتبة عجوز فى شارع "سان بلاسيد". ألتوى تحت ثقل الكراسات الكبيرة الوزن، فيأتى جوستاف بولان الذى كان يريد أن ينجز لى صورة (بورتريه) لمساعدتى، ويعمل هو أيضًا عند العجوز، وينوب عنى.

فى دوم، هؤلاء الذى لا يمكن إصلاحهم، مارت، بولان، وآخرون، وأنا منهم. نتحدث، مازلنا نجرؤ على الحديث حول الميتافيزيقيا !

تدخل إليونور كرامر، زوجة كرامر، فى جماعة من المقاومة من التيار اليمينى. كلما طال ترددى عليهم كلما زاد كرهى لهم.

ليس الخوف هو الذى منعنى من الانضمام إلى المقاومة، ولكنه الكسل. كان بإمكانى أن أبحث وأجد أصدقاء حقيقيين فى جبهة (إف. ت. ب.)، ذات الاتجاه التروتسكى. لم يكن ذلك صعبًا.

تعتقل إليونور، وأعضاء من شبكتها، إنه أنا من يهرع لينقل النبأ إلى (ن.)

يعتقل كرامر بدوره، من قبل الجستابو، مشتبها" به بالعمل لصالح صحيفة فى لندن. تتوقف المساعى التى أبذلها فى سبيل الإفراج عنه، بسبب إنزال قوات الحلفاء فى نورماندى.

البارون (البرلينى) المهتز، اللوطى، ذلك الذى أوصاه بى صديق قديم لإيرين، فيليب لاكاستين، يقول لى بأسف : " ما الذى بوسعى فعله فى هذا الأمر ؟ لقد قرر الجستابو أن يرسل المعتقلين كلهم إلى ألمانيا. أعرفه جيدا" هذا الجستابو، عندما يقرر شيئًا... "

الفصل الثانى عشر

باريس محررة - آرتو مرة أخرى

١٩٤٥ باريس. تصلنا أنباء عن وجود معسكرات إبادة، أفران لحرق الجثث. أشعر بالعار لبعض الوقت لعدم مـــشاركتى بالمقاومـــة. ولكن ماذا ؟ ضد الألمان، فى صـــفوف موريـــاك، وآرون، وســـانت إكزوبيرى ؟ لقد كلن هذا الجمع بين هذه الأسماء مبالغـــا" فيـــه. كنـــا بالطبع نريد أن نجد تبريرًا.

"إيليونور"، يفرج عنها السوفييت فى معتقل "أوشفيتز". تعود إلـــى باريس.

وقت قيام القطار نحو المعتقل. الممرضة الألمانية البدينة التى فى محطة ستراسبورغ تمسح بمنديلها على شفاه المعتقلات، لكـــى تمحـــو آثار مساحيق التجميل. أى عار !

موت كرامير الموقوف فى معسكر "ماتهاوزين".

صدور مـــسرحيتى "الاعتـــراف". الاســـتنجاد بكـــل المبتـــذلات الميتافيزيقية من أجل تبرير تصرفاتى الجنسية، يالها من حماقة !

"الاعتراف" : إننى أسقط، الرب نفسه سقط، والصعود يقترب.

نجد ومارت المال لإصدار مجلة "الساعة الجديدة" التـــى شـــارك فيها : نويل رو، وبريفير، ورونيه شار، وآرتـــو، وروجيـــه جيلبيـــر لوكونت... نصوص نظرية مشوشة، لاقيمة لها، وقصائد رائعة جدا"...

إيزابيل وحيدة فى باريس، ماتزال ثرية، فهى عشيقة صناعى من لندن، وجهها الجميل المغطى ببقع النمش والذى طالما أحببته منتفخ من الكحول.

لم يتغير ذوق إيزابيل الأدبى. مازال كتاباها المفضلان "سويفت، و"لوتريامون". إنها مخلصة أيضا" فى صداقاتها، وتلتقى غالبا" بالرسام "بالتوس".

ألتقى فى الشارع مصادفة بجيزيل. إنها مازالت تعيش مع ذلـــك الرجل الذى رافقته إلى جبهة مدريد. لقد تبنت طفل "هوغيت".

تخبرنى إحدى الصديقات القادمـــة مـــن مرســـيليا أن بادوليـــه، الشرطى الصغير الحقير الذى كان على متن السفينة ماسيليا، قـــد تـــم اغتياله منذ فترة وجيزة. لم يقم أحد بسرقته، وجدت محفظة نقوده كمـــا هى.

أقرأ مسرحية "الغثيان" لسارتر. لقد أحببت هذا الكتاب، ومازلـــت أحبه.

أقرر ومارت الذهاب لزيارة أنتونان آرتو، المنسى من قبل الجميع، وكان فى (فترة علاج) فى مشفى الأمراض النفسية فى "روديز" منذ بداية الحرب. نجد آرتو واهنا"، هلعا". فى أحد الأيام، يدع بعض الكتب التى تخص مدير المشفى الدكتور "فريدير" (صاحب كتاب جيرار دو نرفال !)، يدعها تسقط من يديه أمامنا، يريد أن يلتقط الكتب، فلا يستطيع، يرتجف جسمه كله. نهرع لمساعدته.

يخبرنا آرتو عن حياته فى رودريز، يتهم الدكتور فريدير بإرهابه : "إذا لم تهدأ ياسيد آرتو، سنقوم مرة أخرى بصعقك بالصدمات الكهربائية".

، فى قطار العودة، تجهش مارت بالبكاء، نقسم أنا وهى لأنفسنا بأن نخرج آرتو من روديز، وننجح فى ذلك بواسطة كفالة بلغت أكثر من مليون فرنك.

. مزاد علنى بإشراف "بيار براسور".

الواهبون : جورج براك، بيكاسو، جيا كوميتى، سارتر، سيمون دو بوفوار...

حفلة لصالح أنتونان آرتو فى مسرح "سارة برنار". يشارك فيها جوفيه، رولو، دولان، كونى، بلان.

صوت كوليت توماس الذى لا يمكن نسيانه وهى تنشد عن ظهر قلب قصيدة لآرتو، فى الظلام، بسبب عطل كهربائى.

آرتو، الوجه تعتريه التشنجات العصبية، وقد اجتاحته الهموم، وامتلأ وجهه بالتجاعيد، وخلا فمه من الأسنان، ولكن فجأة يفلت منه صوت صارخ مدوٍّ. نغرق في كلماته.

أنتونان آرتو في مصح في ضاحية (إيفري)، يشعر بتحسن هنالك، وهو يبقى غالبا" خلال فترة الظهيرة لكي يعمل. طاولته محززة بضربات موس.

"مارسيل بيزو" يقلق بهذا الشأن، لأنه من الممكن جدًا أن يجد نفسه مرة أخرى في روديز إذا عامل طاولات المقهى بهذه الطريقة.

يبتسم آرتو : " لا تقلق يابيزو، أنا لا أشطب الطاولات إلا في المقهيين "فلور" و"دوماغو"، حيث كان آرتو معروفًا، وحيث كان آنفًا يجمع حوله بلاطه الصغير ".

لا أدري أي مثال آخر يمكن أن أذكر لكي أوضح مدى لطف أنتونان آرتو وظرفه ! ربما هذا المثال في إحدى الأمسيات، في بيت مارت وميشال، لم يكن يتوقف عن القدح ضد معذبيه، زعماء البونيين، المطلعين على الأسرار، أصحاب المقامات الرفيعة، "الغنوصيين" بكل أنواعهم.

ينفد صبري، أقول له إن أعداءه الوحيدين هم الذين يحقدون عليه لأنه أعلى مرتبة منهم، وإذا كان هنالك حقًا مؤامرات، فإنها في باريس، ولا تحاك في بلاد التيبت الأسطورية. آرتو يلوذ بالصمت، وقد ظننت حقًا أنه لن يغفر لي ذلك، ولكن، بعد بضعة أيام، ألتقي به في

شارع بونابرت، يبتسم، يأخذ بذراعى : " ماهـذا يـاأداموف !... لـم نتناقش هكذا منذ شخصيات دوستويفسكى ".

أقوم بتحقيق "ريبورتاج" لمجلة "كومبا" – كانت مقروءة آنـذاك – حول الأسبان الذين مازالوا معتقلين فى فرنسا. كان رئـيس التحريـر كلود بورديه.

أمسية أنتونان آرتو فى مسرح "فيوكولومبييه". آرتو يفقد أوراقه، يبحث عنها على الأرض، يتلعثم؛ إنه شاحب جـدًا. الـصالة تحـتفظ بصمت كصمت الموت. لآرتو يفرض الاحترام.

أساعد أندريه جيد فى الصعود إلى خشبة المسرح، لأنه يريـد أن يقبل آرتو.

أصبح بإمكان أنتونان آرتو الآن أن يحـصل علـى المـورفين بالكمية التى يريد. منذ هذا اليوم، يعلم أن لا أمل من شفائه.

دون شك، فى المرحلة نفسها، يتحقق من إصابته بالسرطان.

قصائده الأخيرة، "اللعنات"، تلك التى لـم يكتـب أجمـل منهـا، اختفت.

أنا وفيكتور فى حى "الهال". لم يعد فيكتور يريد الصعود وحـده مع فتاة، يجب أن أكون حاضرًا، وأن تبدأ الفتاة بإذلالى.

انتحار أنتونان آرتو بمحلول الكلورال المنوم. (السلاح الفتاك).

بيت البغاء عند مدام بوليت الذى نصحنى به جورج باتاى.

تتضاعف خرافاتى، والطقوس التى من الواجب على أن أمارسها، وتزداد تعقيدا" أكثر فأكثر، فى المساء بخاصة، قبل أن تأتينى الغفوة.

ألتقى بإيرين التى مازالت تعيش مع جان س. قديمًا، عندما كان جان س. فى العشرين من عمره، كان متبنى من قبل معجباته الثريات اللواتى كن يبحثن عن مخلص.

طريقته فى النظر إليك مباشرة بتركيز، كما لو كنت أنت وهو متحالفين، مدعوين كليكما معا" من قبل السرمدية. أعود لرؤية أغاتا أيضًا، لم تتغير، مازالت تنتظر الموت بسلام. أصبح عندها اليوم طفلة، إنها فتاة صغيرة تشبهها.

عند مخرج محطة مترو "موبيرموتيواليتيه"، أحد العميان يتسول، تمر فتاتان طائشتان، تترنمان باللازمة المكررة المعروفة جدًّا : "لقد أغلقت عينيَّ، لقد كان ذلك رائعًا." لاترىان الرجل الأعمى، تدفعانه، فيترنح الرجل. أستوحى فكرة المسرحية التى أود كتابتها : (المحاكاة).

"نحن فى صحراء، لاأحد يسمع أحدًا : (فلوبير).

أسأل نفسى إن كان باستطاعتى إنهاء "المحاكاة" أم لا.

لطالما بحثت عن نبرة الشخصيات، ولم أجدها. يائسًا، أنام بكامل ملابسى، حتى أنه لم تعد لدى القوة لنزع ملاءات السرير.

وبعدها، فى صباح أحد الأيـــام، تمكنـــت مـــن صـــياغة نبـــرة (الموظف)، وفى اليوم التالى اتضحت نبرة شخصية (ن)، وفى اليـــوم الذى بعده نبرة (ليلى). لم أعد أقلق، سأحدد معـــالم نبـــرة الشخـــصية الرابعة المهمة، شخصية الصحافى، ولكننى، أستيقظ فى اليوم الرابـــع، فلا أجده، ولن أجده أبدًا.

إن "المحاكاة" مسرحية ذات بنائية مريبـــة، ولكنهـــا مـــسرحيتى الأولى؛ فهى إذًا غنية وحقيقية.

تعرفنى مارت بـــ"جاكى ت."، تلك التى أحب، تلك التى ستصبح "بيزون".

الـجزء الثانى

النضج المتأخر

الفصل الأول

تعميد بيزون

ربيع ١٩٤٨. تدريبات مسرحيات "المحاكاة" على مسرح الـ"أوفر". يعدنى مدير المسرح السيد بيار بتمويل العرض، ولكنه يكذب، فهو لن يدفع شيئًا من أجله، وبما أن التدريبات لا تكلفه قرشًا، فيتركنا نتدرب. المخرج المسرحى المرتقب : روجيه بلان.

يمر شهر، وبما أن السيد "بيار" لم يعد حتى يتصنع الرغبة فى تحقيق وعوده، تتوقف التدريبات.

أذهب أحيانًا لتناول العشاء فى بيت جاكى ت. شارع "دويه"، لم أكن بعد أدعوها بـ"بيزون"، ولكنى كنت وقعت فى حبها.

هى تعيش مع زوجها الذى تخونه. إنه وسيم، ولكنه كبير الشبه بأستاذ رياضة.

الشيوعيون مازالوا مبعدين من الحكومة، ولكن ذلك لم يكن يعنى لى شيئًا حينئذ.

تموز/يوليو ١٩٤٨. مهرجان أفينيون الثانى. إعدادى لمسرحية "موت دانتون"، التى أسهم الديكور فى جعلها رائعة بالإضافة إلى

الهواء الطلق. كان الهواء عاصفًا، والأعلام تتلاطم، والممثلون يصرخون.

كان فيلار رائعًا في دور روبسبيير.

للمرة الأولى، أصغى إلى جمل كتبتها أنا ـ تقال أمام الجمهور.

شتاء عام ١٩٤٨-٤٩. ألتقي ثانية بـ جاكي، أجدها الآن جذابة، جميلة؛ عيناها الوامضتان، صدرها الشامخ، إنها تشبه إحدى لوحات الرسام "كراناش".

أمضي ليالي كثيرة معها في فندق، وفي آخر مرة، ذات صباح باكر، أجبرنا على الهرب من البراغيث التي كانت في غرفتي البائسة.

أكتب مسرحية "الغزو" التي لا أستطيع إنهاءها.

توقفني الجمل الأكثر بساطة، أمضي أيامًا كاملة في إعادة تشذيبها. كم أتعبت نفسي وأتعبت جاكي بهذه التعديلات المتتابعة !

كبدائل لعبارة أنييس البسيطة البائسة :

"ماعليك إلا أن تسدل الستائر".

ألقي محاضرة عن كافكا في مدينة روان.

نلاحظ ونحن نتنزه في روان، أنا وجاكي، في إحدى واجهات المحلات وحيد قرن من الورق المقوى، بمثابة إعلان، كما أذكر، من

أجل الأسلاك الشائكة. علق على جبهة وحيد القرن لوحة إعلانية كتبت عليها هذه الكلمات : "قرني ينكسر فيها".

أطلق على جاكي لقب (وحيد القرن)، لن تحتفظ به وقتًا طـويلاً، أيامًا معدودة لا أكثر. تطبع جاكي قبلة على خدي، تلفت انتباهي كلمة القبلة [١]، منذ ذلك الحين، وجد لقبها الجديد (بيزون). وبعدها احتفظت بهذا اللقب، ليتها تبقى محتفظة به إلى الأبد.

أعلم أنها تشعر برغبة تجاه الفتيات،أستفيد من هذا الأمر، فأجرها معي إلى حي "الهال". نصعد كلانا مع مومس تدعى "لوسين"، لم تعد شابة، حتى أنها ليست جميلة، ولكنها مطلية بمساحيق الزينة إلى حد المبالغة. كان لها ساقان طويلتان، وجوارب حريرية سوداء تغطيهما، وأخيرًا ثوبها القصير بشكل شائن، يثير الشهوة.

أبحث عن المال للسفر إلى شاطئ البحر مع جاكي : بيزون.

استجداء. لم أدع إنسانًا لم أطلب منه أن يساعدني. البحر، أجمع سبعة عشر ألف فرنك. بالطبع، الأمر يدفعني للحك اليوم عندما أفكر بتفاهة المبلغ.

صيف ١٩٤٩. أولى "عطلاتنا".

---

(١) (bise) قبلة باللغة الفرنسية. (المترجم)

رحلة مقيتة. أفقد محفظة نقودى على طريق "بورغونـــدى"، (د.) الذى أخذنا معه فى السيارة، عبثًا يرجع علـــى خطـــاه، عبثًـــا يـــسلط أضواءه على الطريق. كان ذاهبًا إلى "فانس" ليجتمع بزوجته.

ولكن منزل العائلة "بورديه" موجود هنا، فى فانس. نهـــرع إلـــى هنالك، للأسف، لا " إيدا "، ولا "كلـــود" موجـــودان، وبالنـــسبة إلـــى عائلتى، نجد فقط عمتى "ت" الشريرة، التى تنظر إلينا بازدراء، وهـــى مستندة إلى عكازها. لقد كانت دائمًا تكرهنا، أنا وأمى.

كان كلود قد أجر الفيلا التى يملكها إلى "روجيه ستيفان". يستقبلنا ستيفان وهو محاط بحاشيته من اليافعين الذكور، كما لو كنا كلابًـــا. أن تمتلك الجرأة لكى تطلب الضيافة عندما ترافقك امرأة، وأن تكون، فوق ذلك، مجهولاً هناك، هذه هى المسألة.

"سان – بول دوفانس"، "بريفير" ينوء تحت ثقل الديون، ومع ذلك فهو يعطينا ما يمكن أن نتدبر به أمرنا يومًا أو اثنـــين. كانـــت ابنتـــه مريضة، وكانت ترفض أن تتناول الطعام.

زوجيه بيجو، دون أية نقود، وصديقته مصابة بالسرطان.

فى ملهى "اليمامة الذهبية" "تينو روســـى" بجواربـــه الـــصفراء، وسيمون سينيوريه متباهية، كورين لوشير حزينة، مهجورة. إنها ابنـــة أحد المتعاونين مع النازية، فكروا فى هذا الأمر قليلاً !

نقوم بالبحث عن منزل إيرين فى ضواحى "نيس".

متعبون، مرهقون حتى الإعياء، نعثر عليه فـــى نهايـــة الأمـــر؛ (المشكلة أننا لم نكن نملك العنوان الدقيق).

تفتح لنا إيرين ذراعيها، تقدم لنا صديقها الجديد، إنجليزى لطيف، لكنه، بعد أن قطع علاقته مع عائلته، لم يعد ينتظر منها قرشًا واحـــدًا. أشعر بالفرح لا ن إيرين قد انفصلت عن صديقها (س)، وفى الوقـــت ذاته، عن "بهاجافاد-جيتا"، كتاب الأموات التيبيتى. ولكنى كنت مخطئًا، فللإنجليزى القراءات ذاتها.

ترتجل لنا إيرين سريرًا على الشرفة. طوال الليل، هناك ديـــوك تصيح. إنه الريف بكل قبحه.

نيس. بفضل الرسام "باوير" الذى التقينا به مصادفة، نجد أنفـــسنا نقيم عند الكونتيسة "تولستوى".

غرفة رثة، النمل يتسلق على الطاولة والسرير، نشعر بالـــضيق الشديد، حتى أننا فكرنا بالعودة إلى باريس، ولكن، كيف سنعيش هناك، فى باريس، وبأية أموال ؟.. إذ إننا لم نعد نملك حتى سقفًا يأوينا.

البحر الأبيض المتوسط. فى الصباح، فى ساعة مبكرة جدًا، إنـــه شفاف، سديمى غامض، شديد البياض، يشع جمالاً.

أفقد حزامى على الشاطئ، أبحث عنه فلا أجده، أشعر بـــالخوف، تختلط نوادى السباحة المختلفة فى رأسى. إنه مع ذلك فعـــلاً، المكـــان

الذى كنا جالسين فيه، والذى سبحنا فيه، لا ، لم يكن هنا، بلى، كان ذلك هنا، لا ليس هنا. إذًا... أين كان ذلك ؟

فكرة عبقرية تخطر على بالى، ماذا لو ذهبت للقاء "أندريه جيد" فى "جوان ليه بان"، وأعطيته مخطوط مسرحية "الغزو" ليقرأه، واقترضت منه بعض المال ؟!.. تعد بيزون بمرافقتى.

"جوان ليه بان". ڤيلا جيد. يفتح "جان أمروش" لنا الباب. بنطاله القصير يغطى ركبتيه.

أقص حكايتنا على جيد، أطلب منه عشرة آلاف فرنك. يرتسم الخوف على وجهه :

" ياأصدقائى المساكين، كم كان بودى لو استطعت مساعدتكم، ولكن الوقت غير مناسب حقًا...

آه ماأشد غبائى، أنا لا أملك نقودًا بالطبع، ولكننى سوف أطلب من (ج) - كان (ج) خادمه.

لابد وأنه يملك ألفى فرنك، أعرف، ليس هذا بالشىء الكثير، ولكن ذلك سيساعدكم على حل المشكلة لمدة أيام. الحماقة أنه لم يعد لى شيء فى حسابى المصرفى، ولولا ذلك...

لابد وأنكم تعرفون... ".

يسارع جان أمروش لنجدتنا؛ فالمصرف سيكون سعيدًا بأن يقرض جيد المبلغ الذى يراه مناسبًا.

" نعم، بالطبع، لم أفكر فى هذا الأمر".

يوقع لى جيد شيكًا بمبلغ عشرة آلاف فرنك. إنه يبدو سعيدًا، مندهشًا لكرمه، ولو استمر الأمر أكثر لقام بتقبيلنا.

أعطى مخطوط مسرحية "الغزو" لجيد، يعدنى أن يقرأها باهتمام، على أن أعود للقائه بعد أسبوعين.

إيرين بكامل ملابسها، بقدميها العاريتين، جالسة على الشاطئ، تشرب نبيذًا أحمر، تضحك، تمزح، فتنجح فى نقل العدوى إلينا، فنفعل مثلها تمامًا.

أعود للقاء جيد. إنه يحب كثيرًا مسرحية "الغزو"، وكان قد أعارها إلى "مارتان دو جار" الذى قرأها وأحبها بدوره.

استعادت عائلة بورديه ملكيتها للفيلا، أنا واثق من أنهم سيساعدوننى.

فى الحافلة التى تقلنا من نيس إلى فانس. على الطريق المحاذية للبحر، يافع عارى الصدر يمسك بجواد أبيض من اللجام.

يعطينى كلود ما يكفى لتغطية نفقات العودة. أما فى باريس فسوف نرى ما يمكننا فعله. لقد نجونا !...

باريس، خريف ١٩٤٨. مدير المسرح (ل)، تتراوح أعماله بين القمة والحضيض. أذهب تقريبًا كل يوم عند (ل) لا طلب منه بعض المال : أدرك جيدًا أننى طلبت منه ذلك فى أغلب الأحيان، وتحديدًا منذ سنوات عديدة،. ولكن فكرة أننى أستطيع أن أعمل وأكسب قوتى لا تخطر على بالى.

(ل) فى السرير، الملاءات المزاحة تظهر جسده البدين، بينما يقوم أحدهم بتدليكه، وفى الوقت ذاته، منهمكًا، واثقًا من نفسه، يقوم بإجراء مكالمة هاتفية. أنا أنتظر، أقول لنفسى قلقًا : "كم من المال سيعطينى اليوم ؟ أحظى بالرضى حقيقة مرة واحدة تقريبًا كل أربع مرات".

فكرة ما تتضخم فى رأسى، فكرة طاغية تطرد كل الأخريات : أن تقدم مسرحياتى على خشبات المسرح. يتحدث "بلان" فعلاً عن إخراج مسرحية "المحاكاة" وفيلار عن إخراج "الغزو"، ولكن أين ؟..

وكيف ؟ يلزمنا متبرع للنفقات.

تذهب بيزون للقاء فيلار فتجده بلباس المنزل، مثبط الهمة. لم يعد يملك مسرحًا ولا نقودًا، وقد قطعوا له خط الهاتف.

ينصحنا فيلار بنشر مسرحيتى "الغزو" و"المحاكاة"، مقدمتين بشهادات كتاب، وفنانين، ونقاد مشهورين. أتردد ثم أوافق، وينتهى بى الأمر حتى إلى الحماسة.

غرفتنا البالغة الصغر. العديد من الكتب، حتى أنها تتساقط فـوق رؤوسنا عند أقل حركة. مديرة الفندق، عيناهـا الزجاجيتـان، وأمهـا المصابة بالخرف. كلب من "بوميرانيا"، صغير، غبى، يلقى بنفسه بـين قدميك على السلالم القذرة.

ومع ذلك، فقد بقينا أربع سنوات فى هذا الفندق، فى منطقة "ليـه فوج".

يقبل جيد، ولومارشان، وفيلار، ورونيه شار، وبـلان، وهنـرى توماس وبريفير أن يشهدوا لصالح مسرحياتى فى مقدمة الكتاب الـذى سوف تقوم دار نشر "شارلو" بطباعته.

كانون الأول - ديسمبر. يخرج الكتاب إلى النـور. الآن، علـىَّ الذهاب إلى الصالونات الأدبية، لكى أمجد اسم جيد، وكل هؤلاء الـذين وقفوا إلى جانبى ودافعوا عنى.

الفصل الثانى

أخيرًا.. مسرحياتى تمثل

كانون الثانى - يناير ١٩٥٠. يلح رونيه شار على السيدة (ت) صديقته، وإحدى المعجبات به، من أجل القيام بمساعدتى، لا ننسى أستحق ذلك. لقد كان جيد محقًا عندما كتب : "هنالك الكثير مما يمكن قوله حول مسرحية "الغزو". أولاً حول الموضوع تحديدًا، الذى يبدو كأنه يختفى، ويبقى فى تراجع بالنسبة إلى الحدث". تمتثل السيدة (ت)، ولكنها لا تريد أن تتحمل نفقات المسرحية وحدها. على السيدات نصيرات الآداب والفنون أن يسهمن بنصيب. تذعن السيدات، فيشترين منى مسبقًا أماكنهن فى العرض المسرحى. ولكن، بما أنهن لم يشترين سوى عشرة أماكن، فإنهن يطلبن من سيدات أخريات، تتلكأ الأمور، وعملية تحصيل النقود لا تنتهى.

السيدة (ت)، زينتها دائمًا بألوان داكنة، غالبًا سوداء، غنية، بذوق رفيع. تحتفظ بجاذبيتها تجاه الرجال المشهورين.

تقدم السيدة (ت) لى "فلورانس جولد" التى "يمتلك" زوجها مدينة "جوان - لى- بان"، ويمتلك قسمًا من أسهم كازينو "مونت كارلو". تعدنى فلورانس جولد بمبلغ خمسين ألف فرنك، وتدعونى للعشاء.

المشروبات الفاتحة للشهية. فلورانس جولد ثملة جدًا، تنشد مقاطع كاملة من "هاملت"، تقلب كرسيها، تقع، نحاول النهوض بها فترفض، إنها مرتاحة هكذا، أرضًا، وما علينا إلا أن نتركها.

لم تعد فلورانس جولد فى ريعان الصبا، ولكنها أقرب إلى الجمال.

"مدام دو مارجورى" زوجة أو ابنة أحد السفراء، لم أعد أدرى، ثملة أيضًا، تركع أمام فلورانس جولد مرهقة، تقبل يديها وتتمتم : "بالنسبة إلى الجميع، أنت جولد، ولكنك لست فلورانس إلا بالنسبة إلى".

يرى بعض السادة أن السيدتين مرهقتان، فتذعنان من دون احتجاج.

تأخذ مدام مارجورى فى النواح. نجلس إلى طاولة العشاء.

ما إن أتحدث عن المال حتى تصحو فلورانس جولد من سكرها. واثقة من نفسها، وبخط جلى، توقع لى الشيك الموعود. إنه "جان دو نويل"، أحد المقربين من العائلة، الذى يقوم بتسليمى الشيك.

حلم. أنا جالس على الشرفة بصحبة أختى، وهى ليست "آرميك"، ولكن لا أدرى أى صورة أخت دائمة الحضور فى أحلامى. لدى حدس بأنى بين لحظة وأخرى سوف أسمع المناداة، وعلى أن أسير فى الرتل، وأن أتسلق على الجبال، وأن أنبسط على الأرض، وأزحف.

أنا مذعور. أقول لنفسى : " الأمر سيان بالنسبة إلى، لن أجيب على النداء، لن أتحرك من مكانى"، ولكنى كنت أعلم جيدًا فى أعماق نفسى أننى أكذب، وأننى سوف أجيبهم، وألتحق بهم فور مناداتهم لى. وفوق ذلك، تقول لى أختى : "يجب عليك الذهاب"، وأنا أطيعها دائمًا.

أستيقظ قبل النداء.

بعد وقت قصير من هذا الحلم – شهر على أكثر تقدير – تأتينى الفكرة لمسرحية اسمها " المناورة الكبيرة والمناورة الصغيرة "، حيث يفقد أحد الرجال كل أعضائه على التوالى، لا نه قد أطاع النداء.

تبدأ المسرحية بصوت رتيب وقاس للمدربين الذين يضربون بأيديهم، خلال فواصل زمنية متساوية. جمل المدربين، كما يخيل لى أننى أحسست بها تقريبًا : "الكل إلى الأعلى.. اثنان.. اثنان.. أعيدوا الكرة ! " درس جمباز وتدريبات عسكرية فى آن.

إذا كنت لم أعد أحب مسرحية "المناورة الكبيرة والمناورة الصغيرة" الآن، فليس بسبب طابعها المتعلق بالحلم، والمبالغ فيه؛ ولكن فقط لا ننى، فوق الهلع الشديد من الواقعية، قمت ببناء كم هائل من الأفكار الواهية التى لا تمت بصلة إلى الواقع، لكنها فكرية. ماعلاقة الثورة الاجتماعية هنا ؟ نسأل أنفسنا قليلاً هذا السؤال.

أعلم جيدًا دورها، إنه السماح لحيز من الشعوذة سبق أن مارستها فى مسرحية "المحاكاة".

إننى، ذلك الأبتر، مدمر تمامًا؛ ولكن من لا يسمع صوت المدربين، وهو الذى- عوضًا عن أن يستسلم لتلك السلطة فى الأعلى- يناضل ضد السلطة التى فى الأسفل، هذا المناضل مدمر أيضًا. إنه سياق التسويغ الشخصى، هنا، يمكن تمييزه بسهولة.

"إيرنا"، حمراء الشعر، شريرة، حنونة كأم، دنيئة.

خياط : بملامح الشاذ جنسيًا. (يشبه بغيًا).

كل بدوره، مساعدة مراقبة لدورة تمرين على الآلة الكاتبة لمبتورى الذراع، وممرضة، وامرأة تحب التلصص على الممارسات الغرامية، ضحية، جلاد.

يا لتلك السعادة التى شعرت بها وأنا أقوم بكتابة "المناورة الكبيرة والمناورة الصغيرة"، بعد ذلك التحرير الممل لمسرحية الغزو. لقد استعدت صوتى، وكنت أشعر بأننى أستطيع أخيرًا أن أتكلم بحرية عن الأشياء التى كانت تخصنى فعلاً.

لقد كان على "جان - مارى سيرو" أن يقوم بإخراج "المناورة الكبيرة والمناورة الصغيرة". اليوم ما عدت أحتفظ إلا بذكرى محزنة عنها. يبقى أننى احتفظت من لقائنا فى "مابيون" بذكريات سعيدة.

ما كان أجملها حقبة سنوات الخمسينيات تلك !.. لقد كنا مضطرين للتسول، وكنا نتحدث عن تقديم عرض مسرحى دون أن نعرف حتى فى أى مسرح كان سيوافق عليه، ودون حتى أن نشك فى

أننا سنصل لدرجة عرض المسرحية فى أوقات مستحيلة؛ بدءًا من الساعة السادسة مساء. ولكننا كنا نملك جميعًا؛ سيرو، وروش، وبالطبع بلان، وآخرون، وأنا نفسى، فكرة مماثلة تقريبًا عما يجب أن يكون عليه المسرح. لقد كنا نحن الكتاب، والممثلين، ومخرجى الطليعة الفاعلة فى مواجهة ذلك المسرح العجوز القابل للنقاش والمحكوم عليه بالفناء.

اليوم، كل يجادل وحده، قابعًا فى زاوينه، قدر المستطاع.

ما زلنا نملك نقودًا. تقرر بيزون أن تعمل كـ"موديل"، وسرعان ما يتم قبولها فى الفنون الجميلة، وتبقى تعمل فى هذه المهنة الغبية، المرهقة، لمدة عام على الأقل.

(الموديل) والفتاة المرحة؛ الصور المثالية، البالية، من موروثات القرن التاسع عشر.

يقوم فيلار بالتدريبات لمسرحية الغزو فى "استوديو ديه شانزيليزيه". أنا لم أعد أحب هذه المسرحية، لا أحضر التدريبات إلا فيما ندر، ولو لم تكن مسرحية المناورة الكبيرة والمناورة الصغيرة ستقدم بفاصل زمنى مدته يومان، لكنت أحسست بالحزن والأذى.

أحضر كل تدريبات مسرحية المناورة الكبيرة والمناورة الصغيرة.

لم يتلق "جاك نويل" مالاً من أجل الديكور، أشعر بالقلق.

يقول لى سيرو : "لا تشغل بالك من أجل نويـــل، لقــد أعطيتــه صباح اليوم ألفى فرنك، ولسوف يتدبر أمره جيدًا."

تشرين الثانى – نوفمبر ١٩٥٠. مسرحية الغــزو تفــشل فــشلاً ذريعًا. إن "غابرييل مارسيل"، واضعًا قدميه الصغيرتين الواحدة أمـــام الأخرى، يخرج قبل النهاية. لن يخرج فى المناورة الكبيرة والمنــاورة الصغيرة، وسيصرخ بالطبع، لكن الأمر هنا مختلف تمامًا.

العرض التمهيدى لمسرحية الغزو. الــصالة مؤلفــة فقــط مــن المحسنات أو من مدعوات السيدة (ت). إحداهن، الجالسة أمامى تمامًا، تجعلنى أصاب بالجنون. كانت تكرر، طوال عرض المسرحية، متحدثة عن جاك بوتان الذى يلعب دور (القــادم الأول) : " آه !.. كــم يــشبه ديدى !.. انظرى إليه، إنه ديدى بكل تفاصيله ! ".

إن عنق السيدة يثير فيك الرغبة بالبصاق عليه.

إخراج فيلار : الانطباع الشاق لرؤية الممثلين يتحركون بغموض على بعد كيلومترات.

كنت أذهب لمشاهدة عروض "الغزو" بعد الظهر مرة واحدة كــل أسبوع على أكثر تقدير، أما باقى الأيام فكنت أمــضيها فــى مــسرح (نوكتامبول). كانت حالة النشوة تعترينى أمـــام عـــروض "المنـــاورة الكبيرة والمناورة الصغيرة "، النص المسرحى، والإخراج، والتمثيـــل. لقد كان من حق "جان جاك جوتييه" أن يكتب : (أستشهد من الذاكـــرة) " فى اللوحة الأولى، يفقد البطل عضوًا، فى اللوحة الثانية يفقد عــضوًا

ثانيًا، وفى اللوحة الثالثة يفقد ثالثًا، ولكن فى النهاية، إننا نحن الذين نفقد عقولنا ". ربما تكون الصالة شبه فارغة، ثلاثون متفرجًا على أكثر تقدير، لم يكن ذلك يهمنى فى شىء. لقد كنت سعيدًا على نحو لن أصل إليه، فى صالة عرض، أمام مسرحية من أعمالى. "روجيه بلان" رائع فى دور الأبتر، يقطع بصرامة أصوات الضحكات عند كل ظهور له على خشبة المسرح، موحيًا بالخوف، فارضًا الاحترام. إنها الصرامة التى كنا نريد.

عرضت "المناورة الكبيرة والمناورة الصغيرة" كما ذكرت فى عام ١٩٥٠، لم أكن فى تلك الحقبة ضد الستالينية فقط، بل معاديًا للسوفييت أيضًا؛ لا ننى لم أكن أرى من ثورة إلا مشوهة. إن " المناورة الكبيرة والمناورة الصغيرة" هى مسرحية رجعية. واليوم، إذا عرض أحد المخرجين إعادة تقديمها فى باريس فإننى سوف أرفض. يبقى أنه على أن أضحك من مخاوف جان - مارى سيرو، الخائف من (فوضويتى). وحقيقة الأمر أنه كان يخشى أن يرفض بريشت - الخائف هو أيضًا - أن يقوم فيلار فى مسرح "باليه دو شايو" بإخراج الأم كوراج عن ترجمة لـ جونفييف سيرو.

فى بهو دار نشر جاليمار، يهنئنى ألبير كامو، ويذكر لى الجملة التى يفضلها فى المسرحية، تلك الجملة التى كنت تحديدا" أشعر بالخجل منها بعد أن فرغت بالكاد من كتابتها؛ تلك التى أردت آنفًا" حذفها : الأخت (بصوت مرير طبعًا) لزوجها المناضل :" اذهب، اذهب واحمل

الأمل إلى العالم" (كان طفلهم قد مات لتـوه) : المثاليـة التـى تـدعو للغثيان.

"البروفيسور تاران"، مسرحية منسوخة على نحو شبه حرفى عن حلم رأيته فى الوقت الذى كانت تعـرض فيـه " المنـاورة الكبيـرة والمناورة الصغيرة". كنت أود فى هذا العمل قص هذا الحلـم، ولكـن جمل المسرحية تهيمن باستمرار على ذهنى؛ حلم، لم أعـد أدرى أيـن يتوقف الحلم، وأين يبدأ التخييل. تخليت عن الأمر.

لقد كتبت " البروفيسور تاران" فى يومين وثلاث ليال، كانت الليلة الأخيرة مكرسة للمشهد الذى يجرى فى المخفر، ولكن معطياته لم تكن كاملة فى حوزتى، كان من الضرورى تحديده بدقة.

السهولة المخيفة التى جعلت البروفيسور تاران يتكلم بها.

هل يمكن لا حلامنا أن تكون أكثر تفصيلية، أكثر وضوحًا ممـا نتخيل ؟

هل تصبح بعض تلك الجمل النادرة التى نختزنها فـى الـذاكرة، قطعًا من خطاب مهم منسى ؟

المسرحية مهيكلة دون عناء – تسلسل الأحداث ثابت.

العادية المكررة، أى المجاز الغبى تم تجنبه، هنا، لحسن الحظ.

مخفر الشرطة، الدفتر بصفحاته البيضاء، فى الوسـط (الثقـب)، تصميم غرفة الطعام فى الباخرة، الطابع البلجيكى وأعباؤه الإضـافية، أختى بصوتها البارد، غير المبالى؛ كل ماتراءى لى فى الحلم يظهـر ثانية فى البروفيسور تاران، دون تغيير يستحق الذكر، دون غش.

موضوع الانتحال، وحده، هو الذى أضيف.

البروفيسور تاران، نص هاجسى واعد. إن خوفى من ألا أكـون سوى المحاضر، الجوال التجارى؛ الكاتب الذى يـدعى إلـى البلـدان الأجنبية، والذى مازال مجهولاً فى فرنسا.

الفصل الثالث

الخطوات الأولى فى الحياة الاجتماعية

١٩٥١ أنهى دون متعة مسرحيتى "الاتجاه"، نسخة ضعيفة عن "البروفيسور تاران".

ينصح "لومارشان" يونيسكو بالقدوم للتعرف بى فيأتى.

إن جانب (الطفل المجنون) فيه يؤثر بى. هو يحب مسرحية "المحاكاة"، وأنا أحب "الكراسى"، نصبح أصدقاء، ونبقى كذلك مدة سنتين.

أحاول أن أكسب قوتى. ينتهى بنا المطاف، أنا ومارت، إلى النادى التجريبى الذى يديره "جان تارديو". ولكنه لا يملك الكثير من الاعتمادات المالية. برامجنا تبث، ولكن دائمًا متأخرة، كذلك نحن، يدفع لنا فى وقت متأخر.

انتظارات تثير الشفقة فى مكتب تارديو، الغائب، المتشاغل، الغريب عن هذا العالم، يهيم خبط عشواء من طابق إلى آخر. تطل نوافذ النادى التجريبى على حديقة. (الأرستقراطية).

محادثة مع "ميرلو بونتى" الذى لا يفهم حقًا لماذا نضع أنا ومارت فلوبير فى أعلى المراتب.

مازلنا دون مال، أو نملك قليلاً جدًا. مدعوون إلى مهرجان "إيرلانجين"، نذهب إلى هناك. ظهور "إيترينسبيرجير".

المخرج المسرحى "رازوم" الذى يرفع إصبعه عندما يتحدث إلى الجمهور؛ الحياة جدية ولابد أن المسرح كذلك أيضًا.

زوجته عادية، ولكن ساحرة. أسبب الألم لبيزون عندما أغازلها. قراءة لمسرحية الغزو باللغة الفرنسية.

بيزون المسكينة، تحت أشعة الشمس، مرتدية ثوبًا أسود، لم تكن تملك غيره.

ميونيخ. يدفع لنا ناشرى الألمانى لمدة ثلاثة أيام تكاليف "بلوز هاوس"، فندق الطبقة الراقية. يمكن النزول إلى البار حيث تعرض لوحات "مارسيل دوشان".

شارع "لودفيج" بواجهاته الصفراء، وتماثيله المتباعدة، جميل وكأنه إيطالى.

نحن الآن مدعوون إلى مهرجان "لالوريللى". " لا أكوا "، عرض مسرحى لـ "جيانفرانكو دو بوسيو". مشهد يخيم عليه الضوء الأبيض. الشخصيات كلها من الفلاحين المرتدين ألبسة سوداء، وهم ساكنون

تقريبًا... يتحدث دوبوسيو عن تقديم مسرحية المحاكاة فى بأدوفا، وقد بدأ آنفًا العمل فى طريقة إخراجها. لن يكون لهذا المشروع تتمة.

يحدثنى "جان - مارى بوجلان" عن شاب من مدينة ليون يدعى "بلانشون"، سوف يقضى على حيائه ويأتى إلى باريس لمقابلتى، ليتحدث معى، ويطلب منى أن أعهد إليه بإحدى مسرحياتى.

باريس. أمضى الشتاء فى جمع المال قرشًا بعد قرش، من أجل مسرحية "المحاكاة"، وكذلك التوسل إلى "روجيه بلان" ليقوم بإخراجها. لم يكن يرغب بذلك، ولكنه، وقد أضناه التعب، يترك نفسه يقتنع.

حين أتذكر تلك المرحلة، يبدو لى، من جانبى، أننى لم أكن مصرًّا أنا الآخر على مشاهدة مسرحية المحاكاة تقدم مرة أخرى، مع أنها كانت أولى مسرحياتى، وكان يجب أن تعرف. وبالنتيجة، قمت بكل المساعى الضرورية؛ لكنى كنت فقدت الحمى والجنون اللذين دفعانى للتصرف فى فترة "الغزو" و"المناورات".

"الغزو" فى مسرح "لانكرى". المسرح كريه، ليلى قبيحة. وحده بلان رائع. إنه (الموظف) تمامًا كما كنت أريد، واثقًا، مؤثرًا، مثيرًا للسخرية. نراه فى مشهد السجن وهو مستلق، يحرك قدميه، متظاهرًا بالمشى.

تستقطب المحاكاة كل أمسية تقريبًا حوالى خمسة عشر متفرجًا، ومسرحية الكراسى ليونسكو، التى تقدم أيضًا فى (لانكرى)، اثنى عشر متفرجًا تقريبًا. أتصدى للدفاع عن يونيسكو فى صحيفة "الفنون". لم تكن المحاكاة هى المقصودة بالطبع، ولكن مسرحية "الكلونيل فوستر يعترف بذنبه" مسرحية ضعيفة، ولكن سياسية لـ"روجيه فايان". كان الأمريكيون فى ذلك الوقت يجوبون كوريا.

الإقامة الثانية فى ألمانيا، أعمل الآن فى إذاعة "شتوتغارت"، أصبح ثريًا تقريبًا !

أحلم بـ"هامبورغ"، عاصمة الرذيلة، أقنع بيزون بمرافقتى.

"سانت باولى"، حى البغاء، واسع، مجنون، ملىء بالمغالطات.

نصل مباشرة إلى الشارع الذى تعرض فيه الفتيات فى واجهات المحلات؛ تعجبنا إحداهن، نصعد معها.

"هليجا"، التى انبعثت من جمهورية فايمار، بنظرة قاسية، وحذاء عال. تقول لى وهى تشير إلى خزانة : " يوجد رجل هنا، فى الداخل. هل تريد أن ينضم إلينا ؟ إنه لا يطلب أكثر من ذلك". أوافق، تضع مفتاحًا فى يدى، أطلق سراح الرجل، الصدر عار، منبطح تحت ملابسها، يتبعنى. "هيلجا" تضربنا بالسوط، نزحف كالديدان عند قدميها، وعندما ينتهى المشهد، أرافق الرجل حتى مخبئه، وأوصد عليه.

إنه صناعى من مدينة "كييل".

إحدى الفتيات الفقيرات، بملابس رثة، تشترى قطعتين من النقانق من أحد المحلات القائمة فى الهواء الطلق. أتابعها بعينىَّ، تبكى.

تقدم الفتاة إلى بيزون باقة ورد كبيرة، يبدو أنها كلفتها تقريبًا مايعادل تعريفة الخلوة معها.

إن انعدام شراهة المومسات هنا يرجع سببه على الأكثر إلى حقيقة أنهن لم يكن يتعرضن لغارات الشرطة؛ فالبغاء قانونى فى هامبورغ.

كانت المغامرة (الهامبورغية) نوعًا من التعويض عن مسرحية المحاكاة الفاشلة.

الفصل الرابع
العطلات الحقيقية

ربيع ١٩٥٣. تفسد علاقتى بيونسكو لا سباب بقيت بالنسبة إلى، حتى الآن غير مفهومة.

مسرحية "الكل ضد الكل" فى مسرح "لوفر" كل ثلاثاء. النقد يكيل المديح، الجمهور أقرب إلى الرضا، ولكنى أحب أقل فأقل هذه المسرحية، مع أننى كنت قد أحببتها فى الوقت الذى كتبتها فيه. يهيأ لى أننى قد خرجت فى النهاية من الخط الميتافيزيقى المعتاد، وأصبح بإمكانى أن أكتب قصة بسيطة.

"فى انتظار غودو"، من إخراج بلان. أرى أن المسرحية تحقق نجاحًا، كنمط من المسرح "الطليعى"، أكثر من مسرحية الغزو مثلاً، وهذا الاستنتاج يحزننى، ويثير غضبى.

تقدم مسرحيتا "البروفيسور تاران" و"الاتجاه" فى مدينة ليون، المخرج هو روجيه بلانشون، سنصبح قريبًا أصدقاء.

"غاياردان" رائع فى دور البروفيسور، محترم فى الوقت نفسه، مهووس، هائج، مخجل، وضائع.

متابعة عرض مسرحية "موت دانتون" فى مسرح "شايو"، التى قام فيلار بإخراجها. تغطى هذه المسرحية نفقات العطلة الصيفية التى قررنا أن نمضيها فى إيطاليا.

صيف ١٩٥٣. إيطاليا، ولكن إيطاليا أفلام "أنتونيونى"، المطر، الضباب. بيزون، لا هية، حزينة :

" أين هى أشجار السرو ؟ "

قريبًا فينيسيا. القطار يدلف فوق البحيرة الشاطئية، بيضاء اللون، التى تستعصى على الفهم.

ساحة "سان مارك". الموسيقى تعزف. نحن على رصيف مقهى "كوادرى"، نتعاطى الشراب. أمامنا قريبًا جدًا، أطفال إيطاليون ينحنون أرضًا، بشعورهم الكثة المتسخة، ونساء أمريكيات فارعات الطول بسراويل قصيرة، وأزواج ألمان، وفرنسيون.

يتبادل السائحون الابتسامات، يتخاطبون، يشعرون بالراحة. إنهم لا يحسون بالغربة، وكأنهم فى بلادهم هنا.

لا نقوم بزيارة أى من المتاحف. موقف صبيانى سخيف اتخذناه بشكل نهائى، كرد فعل دون شك ضد (س) وأشباهه، العارفين بالفنانين الكبار.

الفتاة الألمانية اليافعة التى التقينا بها فى (إيرلانجين). تبكى لا نه كان عليها أن ترجع إلى هناك. آثار الشمس على يديها.

الكآبة فى فينيسيا وقت المساء، إذ تغلق البارات فى العاشرة.

"جنـــوة"، مبنيـــة علـــى علـــو شاهـــق، متكئـــة عـــلى خلفيـــة بنية من الصلصال المحروق،المتوعد، المرعب.

نتجه مباشرة إلى حى البغاء، القريب من محطة القطار، نهبط بضع درجات، وهانحن فيه.

حى "إيل بريه" يصيبنا بالغثيان، لكنه يجذبنا مع ذلك، يجذبنى أنا على الأقل، وإلا، كنا سنمضى، على العكس، كل أيامنا ولياليننا فى تلك الطرقات النتنة.

كثيـــر من الـــمومسات كن حـــاملات. أتذكـــر بخاصة إحداهن باشمئزاز، وهى تعرض ثدييها اللذين طفحا من أعلى الصديرة الزرقاء المتسخة، وبطنها منتفخ.

أرغب بالصعود وبيزون مع إحدى الفتيات. أظن نفسى فى هامبورغ. تصاب إحداهن، وهى سمراء، ليست قبيحة، بالدهشة. وستدهش كل الفتيات مثلها. فى نهاية الأمر، نلفت أنظار الحى كله الذى يسخر منا.

عندما أكون فى دار البغاء، تنتظرنى بيزون فى المقهى. أستعيد هذه الذكرى فجأة، لقد كانت قد غابت عن ذاكرتى، دون شك، لا ن وضعًا كهذا لا يمكن إدراكه فى هذه الأيام.

نصاب بالملل من جنوة. نقرر أن نرحل إلى كورسيكا، حيث سنكون متأكدين من اللقاء بـــ "هنرى توماس" وجاكلين زوجته. نستقل باخرة إلى "باستيا".

رحلة بحرية حزينة تستعصى على التسمية. تتقدم باخرتنا ببطء شديد حتى أننا كنا نعتقدها واقفة باستمرار.

نسافر فى الدرجة الثالثة، ننام على مقعد، محاطين ببؤساء بملابـــس ملطخـــة، مـــدعوكة، قـــذرة. لا سيمـــا جـــواربهم المثقوبة تثير انفعالى. هم عاطلون عن العمل فى جنوة، وقد وصل الفقر بهم إلى البحث عن عمل فى جزيرة "ساردينيا". سيتوجه القارب إلى "أولبيا" بعد كورسيكا.

على قمصانهم التى ابتاعوها بأسعار منخفضة، أقرأ : "وول ستريت". فالقمصان أمريكية، أو، على أية حال، تود أن توحى بذلك.

فى الفجر الباكر. جزيرة "إيلبا"، صخرة مهجورة تنبثق وسط الضباب. الدموع تغمر عيوننا. لن تشع الشمس بعد اليوم.

الوصول إلى "كالفى". نجد "هنرى توماس" تمامًا كما عهدناه، سعيدًا لرؤيتنا، ولكنه ليس مندهشًا أبدًا. جاكلين، سمراء، أقرب إلى الجمال، لطيفة. يعثرون لنا على غرفة، يسكنوننا فى "لاسيتاديل" فى الفندق الذى يقيمون فيه، خرب وفاخر، يطل على المدينة من عل. أحد "البونابرتيين" كان قد عاش فيه. صاحب الفندق الذى اختار لنفسه اسم "تاو"، وهو روسى أبيض، يدفع نوبة بعد نوبة، جملة المشروبات التى

يقدمها. ولكن، بما أن كل واحد كان يشعر بأن عليه أن يقدم له مشروبًا كذلك، فإنه كان يربح فى المعادلة، كما أعتقد.

فى اليوم التالى لوصولنا، كان الطقس رائعًا. السماء زرقاء، وستبقى على هذه الحال تقريبًا حتى نهاية إقامتنا. كنا نسبح صباحًا وبعض الظهر، ونمشى، نمسك بأيدى بعضنا بعضًا كالأطفال، ونحن نحاذى البحر. نمشى عدة أميال، وبعد ذلك نعود فنلتقى بـ هنرى توماس وجاكلين اللذين كانا يبدوان لنا كما لو أنهما لم يتحركا. لقد كانا دائمًا مستلقيين على مقعديهما الطويلين، يقرآن على الدوام الكتب الإنجليزية الرقيقة ذاتها. نتبادل الأحاديث، نتبادل الدعابات. وشيئًا فشيئًا، تنشأ بيننا وبينهما لغة سرية.

بعد مدة شهر، فى أيلول - سبتمبر، يأتى صديقى دورت للقائنا. كنت أمسك بنظارتيه بينما كان يعبر سباحة، زافرًا كالفقمة، خليج كالفى.

الفصل الخامس

أداموف – بيكيت – يونيسكو

شتاء ١٩٥٤. منذ وقت طويل، كان النقاد قد ربطوا بين اسمى واسمَى بيكيت ويونيسكو؛ لقد كنا نحن الثلاثة من أصل أجنبى، وقمنا بقض مضجع المسرح البرجوازى العجوز الذى كان يرقد بسلام. كان إغواؤنا قويًا، ولم يكن على النقاد سوى أن ينصاعوا له.

سأكون كاذبًا لو قلت إن (الترويكا = الثلاثية) التى كنا نؤلفها، لم تكن تسبب لى فى الفترة الأولى بعض السرور. عبثًا بقيت متخاصمًا مع يونيسكو، ولاألتقى بـــ بيكيت إلا فى المناسبات النادرة جدًا، لكننى لم أعد وحيدًا، فقد كنت أنتمى إلى "عصابة". كانت أمنياتى الطفولية قد تحققت.

كان يهيأ لى أيضًا أنه سيكون بإمكانى هكذا الانتصار. ولكن شيئًا فشيئًا، وأنا أكتب مسرحية "بينغ – بونغ"، بدأت أحكم بقسوة على مسرحياتى الأولى، وصدقًا، كنت أنتقد مسرحيتى "فى انتظار غودو" و"الكراسى" للأسباب ذاتها. كنت أرى سابقًا فى (المسرح الطليعى) نوعًا من المهرب السهل، وانحرافًا عن المشاكل الحقيقية، وكانت كلمة

(مسرح العبث) تثير سخطى. لم تكن الحياة عبثية، بل كانت صعبة، صعبة جدًا فقط. وكان كل شىء يتطلب جهودًا كبيرة إلى حد المغالاة.

إن الموضوع الحقيقى لمسرحية "بينغ - بونغ"، بعنوانها المخادع عمدًا، هو لعبة (البلياردو) الكهربائى. كنت أريد أن يدور كل شىء فى هذه المسرحية حول هوس هذا البلياردو الكهربائى، وأن يكون مركز كل الهموم، وكل أشكال الحنين، وكل الطموحات.

استلاب الإنسان المأسور فى المجتمع وتشيؤه، حيث (آلة النقود) تلمع، وتحكم، وتسيطر. إنها لا تحدد بعد بوضوح المجتمع التى هى انعكاس له، ولكن عدم دقتى الذى جاء نصفه اختياريًا والنصف الآخر عفويًا؛ لم يكن يمنعنى من كشف المذنب : النظام الرأسمالى. لقد كان "جولدمان" محقًا عندما كان يؤكد ذلك خلال أحد اللقاءات فى "رويمون". احتج "آلان - روب جرييه" بالطبع.

الفكرة الملموسة الأولى لمسرحية "بينغ - بونغ" حصلت عليها فى مقهى "مابيون"، عندما لعبت بآلة النقود التى تدعى "الصاروخ والقمر". كان على اللاعب أن يتدبر أمره بشكل يجعل الصاروخ يبلغ القمر، عندها تضىء الآلة، وتكون الجولة رابحة.

كنت أتدرب كل يوم على آلة النقود فى مابيون؛ وسرعان ما أصبح ذلك عادة. لم أكن أذهب فى تلك الفترة، التى كانت سعيدة على الأغلب، إلا نادرًا للبحث عن الفتيات فى حى "الهال". وحقيقة الأمر أننى لم أكن بالزبون الجيد، المرتاد، إلا فى الأوقات التعيسة. إذ إننى

حينما أشعر بأن كل شيء ينهار في يدى، وقتها أريد أن أرى جسدى ينهار بدوره.

ومع ذلك، أشعر بالحزن وأنا أرى نفسى محكومًا بأيام الثلاثاء فى مسرح "الأوفر". كم كرهتها تلك الأيام. لماذا لم تكن أعمالى تقدم كل يوم كالآخرين ؟ هكذا كنت أحصى أيام الأسبوع : الاثنين، الأربعاء، الخميس، الجمعة، السبت، الأحد. لقد كان يوم الثلاثاء منسيًّا، وكان أصدقائى يضحكون.

كنت مازلت أعمل فى كتابة مسرحية "بينغ - بونغ"، مكتشفًا بذهول أن الأشياء يمكن أن تكون فى المسرح كما هى فى الحياة، مسماة بأسمائها.

لقد كانت مسرحية "البروفيسور تاران" مفيدة جدًّا بالنسبة إلىَّ.

ناقلاً إلى خشبة المسرح رؤية من عالم الليل، لم أعد أشعر بالحرج، وكنت أجرؤ مثلاً على استخدام كلمة (بلجيكا). أما كنت سمعت بهذه الكلمة فى الليل ؟ وهذا ما يضفى عليها فى الحال شيئًا من النبل. إن "المخلص لرافاييل" [1] لـ "سوتير"، هو إحدى شخصيات مسرحية "بينغ - بونغ"، طالبًا مشروبه، لم يكن ممكنًا ألا أكون كتبت أولاً "البروفيسور تاران".

(١) الرجل الكحولى الذى لا يرضى بديلاً عن كحول رافاييل. (المترجم)

بفضل الحيوية وقد أضحت ملك يدى، استطعت أن أحقق تلك القفزة.

ولكن، كم عانيت فى كتابة "بينغ - بونغ" ! وكم عذبت بيزون كذلك ! أتذكر واحدة من تلك الليالى، حيث انفجرت بالبكاء فجأة. لم تكن تفهم كيف سيكون من الممكن أن أقوم بعقد صلات واقعية وحية بين كل شخصيات المسرحية، وبين كل واحدة من هذه الشخصيات مع آلة النقود.

وفى اليوم التالى، أخذنا ورقة وقمنا مع ذلك بعقد الصلات، لم يكن الأمر بالطبع إلا خطوة أولى نظرية، ولكن النظرية عندما تكون واضحة فإنها تستدعى التطبيق.

صيف فى إيطاليا. نكتشف "نابولى" والحى المرعب الضخم الذى يمتد من محطة القطار إلى ساحة "دانتى".

خضروات معروضة فى الأزقة، موجودة هناك منذ أسابيع، وربما منذ شهور، كلها فاسدة، (من تراه يشتريها ؟ لا يوجد أحد هنا يملك ليرة واحدة فى جيبه).

الوطاويط تطير على ارتفاع منخفض جدًا، تقريبًا فوق الرؤوس، منجذبة نحو العفونة. جرذان تخرج من البالوعات، ووسط كل ذلك، رجال ونساء نائمين فى الشوارع، ملتحفين ليلاً بالجرائد، متعبين، مخبولين.

نجول مسحورين فى أزقة البؤس.

نوافذ السيدة العذراء وقد تفتحت فيها الورود.

يصب لنا الطفل الصغير النبيذ الأبيض. الزجاجة ثقيلة جدًا، تنقصه القوة، منهك، بالكاد يستطيع رفعها.

فتاة (الترامواى) الفقيرة، نائمة، أزهار فوق ركبتيها.

الأطفال العراة الذين يلهون فى المياه القذرة حيث تطفو بقع البترول وبقايا الاسباكيتى. نحن ننظر إليهم من شرفة المطعم الأنيق فى نابولى الساحلية.

إنه١٥آب/أغسطس، يوم صعود العذراء. مدينة ملاه، ومنصات مرتجلة كيفما اتفق.

تفتح الستارة، امرأة عجوز بدينة جالسة، قزمان يقفان حولها. تكشف المرأة العجوز ثوبها، تبسط فخذيها البيضاوين المكتنزين اللذين يثيران التقزز. يقوم القزمان معًا بوخزها فى فخذيها بسبابتيهما. الستارة تسدل. مسرح القسوة وقد نزل إلى الشارع.

ربيع ١٩٥٥. يقنع "ر.ج. شوفار" جاك موكلير بإخراج مسرحية "بينغ – بونغ".موكلير لا يفهم شيئًا من المسرحية، ولكن ينتهى به الأمر إلى الموافقة على تقديمها.

إن مسرحية "بينغ – بونغ"، بعد كثير من المحن، تنتهى فى مسرح "نوكتامبول"، وسيتم قريبًا التجريح بها فى برلين الغربية.

تقدمنى "كريستيان لونييه" التى تؤدى دور "آنيت"، فى "رويال سان جرمان"، إلى تلك التى ستخلفها فى الدور، إيفلين ريه.

كانت إيفلين، الشاحبة اللون، النحيلة، صديقتنا لفترة طويلة، وكنا نحبها لشجاعتها بخاصة. لقد كانت تتلعثم فى النطق مثل أمها، لكنها حاربت بكل قواها التأتأة وانتصرت عليها، وأصبحت ممثلة.

إيفلين التى قتلت نفسها بجرعة من المهدئات، فاقدة الأمل فى أن تصبح ممثلة كبيرة.

إن كريستين وإيفلين تمثلان دور آنيت، كل واحدة بطريقة مختلفة جدًا عن الأخرى، ولكنى كنت أحبهما هما الاثنتين.

"ر. ج. شوفار" رائع فى دور آرتور.

التدريبات "البروفة" النهائية لمسرحية "بينغ - بونغ". أرى منذ الآن الجمهور يستمتع، أسمعه يضحك، أؤمن بالنجاح. لست الوحيد الذى يؤمن بذلك. بعد أن انتهى العرض فى "لاشوب"، يقول كلود بورديه وفايان لى : " الجولة هذه المرة رابحة ". هما يحبان المسرحية ويشعران بالسعادة من أجلى. ولكن فجأة، أشاهد قطة سوداء، ومنذ تلك اللحظة، أصبحت واثقًا من الفشل. ولقد كانت كل المقالات النقدية تقريبًا، ماعدا التى كتبها جاك لومارشان - التى تتحدث عن رقتى وعن روح الدعابة عندى - كانت معتدلة، وحتى سيئة تمامًا. لا تبقى الـ "بينغ - بونغ" على لوحات الإعلان أكثر من شهرين.

أعتقد أننى منذ ذلك الوقت شعرت باليأس، وظننت أن هناك حظا سيئًا يلازمنى. لم أكن مخطئًا كليًّا.

الفصل السادس

"باولو باولى"

المخرج المسرحى - روجيه بلانشون

ربيع ١٩٥٥. مرة أخرى نجد أنفسنا بلا مال.

نقبل أن نعمل فى كتابة بعض المذكرات التى يقال إنها مربحة. نذهب إلى بيت كاتب المذكرات، وهو رجل عجوز بلحية بيضاء، وابتسامة شريرة، وعلى ظهره ترغلة، وفراشات على كل الجدران.

نذهب كل يوم بعد الظهر للإصغاء إليه، ولأخذ الملاحظات.

"أوجين لا مولت"، هو ابن أحد الموظفين الكورسيكيين الصغار فى إدارة سجن الأشغال الشاقة فى "كايين" (كان موجودًا فى ذلك العصر).

لقد حصل على ثروة بفضل هؤلاء المحكومين بالأشغال الشاقة، الذين كانوا بمبالغ أقل من زهيدة يصطادون له الفراشات، حتى من فانزويلا، حيث استطاع بعض المساجين الهرب مخاطرين بحياتهم، إذ كان يتسلم منها الفراشات بانتظام، وخلال عدة سنوات.

لومولت إنسان وغد، هذا لا يهم ! لا ننى وأنا أنصت إليه يــتكلم عن ماضيه، تأتينى فكرة مسرحيتى "باولو باولى". لومولت هــو ثــانى جامع فراشات فى العالم. المتحف الإنجليزى هو الأول. إنه مكلف بفتح مراسلات "دريفوس" فى جزيرة "الشيطان". كان لومولت يريد أن يلقى رجلا فى سجن الأشغال الشاقة لا نه قام بقتل حشرته آكل النمل.

مازلنا فى ربيع١٩٥٥. أقمنا فى "لاميسوجيير"، وهو بيت رائــع وهادئ، هربًا من فندق "ديه فوج"، ومازلنا نقيم فيه حتى الآن. نتعاطى الهرويين، يؤمنه (س) من مرسيليا. نشعر بالسعادة فى كــل الليــالى. ولكننا سندفع غاليًا فيما بعد ثمن هذه السعادة.

صاحبة نزل "لاميسوجيير" هى "أندريه فيينــو"، امــرأة فاحــشة الثراء، لكنها كريمة وصريحة جدًّا.

عند عودتى إلى باريس، أذهب إلى المكتبة الوطنية حيــث يريــد الحظ أن أعثر على كتاب أحد القساوسة (من العام ١٩٠٠، لــم أعــد أذكر اسمه). لقد كان يدافع بضراوة عن "صناعة الريش". يصدر القس مرسومًا يقر بأن قتل الطيور ليس جريمة !... ثم، هــل الأمــر بهــذه الفظاعة أن تنتهى ميتة مزينة قبعات النساء ؟ لاَ سيما أننا أيضًا لم نعد نقتل إلا فيما ندر تلك الطيور. ونحن عامة نستغل الفترة التى تقوم فيها الطيور بتبديل ريشها لنجمعه. على كل حال، إن المــستفيد الأول مــن ذلك هو الساكن الأصلى للبلاد.

إن شركة أودوبون المؤلفة، كما يهيأ إلىَّ، من فتيات عوانس، قبيحات، أنجليكانيات وأنجلوساكسونيات، لا تفوت فرصة للاحتجاج. مزاحمة بين الكاثوليك، ومتعهدى تموين الريش، والبروتستانت الذين يرغبون استبدال الزهور بالريش على القبعات. تتضح فكرتى حول باولو باولى. أقرر أن أحدد زمن المسرحية فى بداية القرن العشرين، وأن أنهيها بزمن (الحلف المقدس). أقرأ ما لا يقل عن خمسين جريدة فى صالة النشرات الدورية.

يظهر كتاب أوجين لومولت "رحلاتى فى صيد الفراشات" فى المكتبات.

ربيع ١٩٥٦. "لاميسوجيير" مرة أخرى.

نتعرف إلى أصدقاء "رازيتا" الذين خرجوا لتوهم من سجون مدغشقر، ومن سجن الأشغال الشاقة فى كورسيكا، يخبروننا عن وحشية القمع الفرنسى الذى خضب بلادهم الثائرة بالدماء (ثمانون ألف قتيل فى أقل من عشرة أيام). كانت الطائرات تحلق على ارتفاع منخفض جدًا فوق "تاناناريف"، ملقية فى الفراغ عددًا من القادة الثائرين كعقاب رادع. كذلك، نعلم عن طريق أصدقائنا الجدد الجملة التى قالها أحد طيارى هذه التحليقات البطولية :" هذا ما نسميه قصف مدغشقر بالمدغشقريين".

أعمل فى كتابة "باولو باولى"، تساعدنى بيزون بكل قواها، تتعاون حقًا معى. أنا مدين لها بالقسم الأكبر من نجاح هذه المسرحية.

إلا أن نجاح مسرحية "الكراسى" المظفر قد أذهلنى، ويرجع ذلك إلى مقال نقدى كتبه جان آنوى فى جريدة الفيغارو.

أفكر بعروض مسرحية الـ"بينغ - بونغ" التى توقفت بسرعة. وهذا ليس عادلاً.

السفر إلى يوغسلافيا.

فى "زاغرب" يحدثنى أحد المخرجين المسرحيين عن يونسكو وكأنه أكبر كاتب مسرحى معاصر. كان يحضر نفسه لإخراج مسرحية "الكراسى"، هذا النتاج الأدبى الرائع.

تشرين الأول- أكتوبر. عودة إلى "لاميسوجيير".

تصلنا أخبار الهياجات الشعبية فى بودابست، وأن السوفييت أطلقوا النار، وأن هناك ضحايا. يبدو أن أغلب الناس لم يلاحظوا أنه فى اليوم ذاته الذى انفجرت فيه أحداث هنغاريا، أنزل الإنجليز والفرنسيون قواتهم فى قناة السويس. ومع ذلك، فتلك مصادفة عجيبة. العدائية ضد الشيوعية تفلت من عقالها.

يلجأ الكاردينال "ميندزينتى" إلى السفارة الأمريكية.

مازلت أعمل فى كتابة باولو باولى. كان يتوجب على أن أقول نحن، عوضًا عن كلمة أنا. مازالت بيزون تساعدنى.

زيارة عابرة إلى مدينة ليون. يعرض بلانشون مسرحية "الكوريون"، وهى عمل درامى لـ "فينافير". أردنا مشاهدة العرض.

خلال فترة الاستراحة، مظاهرة ضد الشيوعية فى ساحة "بيلكور"، طلاب مدرسة ثانوية من المراهقين ينادون بأعلى صوتهم : "حرروا هنغاريا ! ". كانت شرطة مكافحة الشغب وآباؤهم يقفون خلفهم، لحمايتهم. هكذا سيكون بإمكانهم أن يخربوا وينهبوا بطمأنينة مقر الصحيفة الشيوعية "الجمهورية".

ثمة عمال مضروبون بالهراوات، دماؤهم تسيل، يلجأون إلى مسرح "لاكوميدى".

إن الإخراج المسرحى الذى قام به بلانشون لمسرحية "الكوريون" جميل، وحكيم. تركيز مشهدى على المرتزقة. أما الكوريون فهم منسحبون إلى الوراء.

تقول بيزون لى إن بلانشون هو المخرج الفرنسى الوحيد القادر على إخراج "باولو باولى" على نحو جيد، وإنه على أن أعهد إليه بنص المسرحية. وأنا سأتبع نصائحها.

٣١ كانون الثانى- ديسمبر ١٩٥٥. مسرحية باولو انتهت أخيرًا، أذهب إلى مدينة ليون وأعطى المسرحية لبلانشون.

يقرأ المسرحية فيجدها رائعة، يقسم لى بأن يقوم بإخراجها بأسرع وقت ممكن، الشىء الذى سوف يفعله، بعد أن يحصل على النقود الضرورية من السيدة شلومبيرجير، بفضل "جوزيف برايت باخ".

أصبحت وبلانشون صديقين، نعمل معًا علـــى مــسرحية بـــاولو باولى بتعاون وثيق مع الموسيقى" لوشى ".

درجات الكاريكاتورية فى باولو بـــاولى. دون أن نتـــشاور، أنـــا وبلانشون نرى أننا على اتفاق. إنها السيدة "دوسان سوفور" هى التـــى عليها أن تكون الشخصية الأكثر خيالية، ماريو الأكثر واقعية.

تخبرنى الفتاة السويسرية المجنونة التى ألتقي بهـــا فـــى إحـــدى الليالى فى ليون، أنه فى بلادها "مقاطعة فود"، على المحكومين بالإعدام أن يقوموا بصدورهم العارية بدورات فى الباحة، وهم فوق دراجاتهم، وعندما يصلون إلى قمة الإعياء، يقعون أرضًا، فيتم الإجهاز عليهم.

باريس، ثم ليون مرة أخرى. لقد ذهبنا إلى هناك لحضور إحـــدى البروفات الأخيرة لمسرحية باولو.

أجد إخراج بلانشون للمسرحية، وفكرته بعرض صور مرعبـــة على ألحان موسيقى عابثة، شيئًا رائعًا. كذلك، أحب كثيرًا الديكور الذى صممه آليو، وأيضًا أداء الممثلين.

"مالكا ريبوفسكا" بدور ستيلا مؤثرة، وتدعو للـــسخرية فـــى آن معًا؛ لقد كنت أريدها كذلك.

"جاياردان" هو حقًا القس. متشاغل، ثرثـــار، نمـــام، موســـوس، مهووس. يتألق ميفر فى دور باولو الصعب.

صداقتى مع "مارك دالميه" الذى كان آنذاك مدير الفرقة المسرحية فى ليون، سألتقى به فى باريس فيما بعد. سيهيم حبًّا بـ ميراى.

باريس مرة أخرى. يخبرنى بلانشون بالهاتف أن مسرحية باولو قد تم منعها. أصاب بالفزع.

كيف ؟ مالذى حصل ؟ نسافر مرة أخرى إلى ليون فى أقصى سرعة. يخبرنى بلانشون والفرقة عما حدث.

كان "ب-آ. ت"، من لجنة الفنون والآداب، قد حضر آخر التدريبات، وحكم بأن المسرحية لا يمكن القبول بها.

كان"توشار" يقاطع الممثلين، وكان ينهض ويصرخ : "الآسيويون...، دائمًا هؤلاء الصفر ! ". لقد كنت أدنت فعلاً محطمى الإضراب، ودافعت عن نقابة العمال (C.G.T.U.) [1].

بعد انتهاء االتدريبات، يذهب "ب. آ. ت ليرى بلانشون، وبشكل أبوى، رابتًا على كتفه، ينصحه بالعدول عن تقديم المسرحية : "إن هذا ليس منعًا، بل نصيحة من صديق". هو يفكر بمستقبل بلانشون، إذ ربما يسبب هذا الخطأ، أن لا تقدم له لجنة الفنون والآداب المنحة المالية الضرورية لا فتتاح المسرح الشعبى الكبير الذى يحلم بإنشائه فى "فيلوربان" ! "قد أتفهم لو كانت المسرحية جيدة".

---

(١) نقابة عمالية يسارية وثيقة الصلة بالحزب الشيوعى الفرنسى . (المترجم)

يحتج بلانشون، تخطر له فكـرة : "مـاذا لـو وجـدت بعـض الشخصيات المهمة المسرحية ممتازة، ستعيد النظر فـى حكمـك ؟ - نعم."

"لاميسوجير" مرة أخرى. نقوم بمعالجة أنفسنا من إدمان الكحول، كنا قررنا ذلك منذ زمن. فترة مروعة، ولكن فجأة تأتى الأخبار الطيبة. يعرض بلانشون باولو باولى (خفية) على مجموعات يسارية. يكتب لى أراغون ليقول لى كم يحب المسرحية، ويريدنى أن أكون مـن اللجنـة الإدارية للمركز الوطنى للدراسات، فأوافق. تعرض باولو باولى، هـذه المرة، علانية فى ليون، وتستمر عروضها أكثر من ثلاثة أشـهر، ثـم يعاد تقديمها مرة أخرى. أسأل عما حدث، أريد أن أعرف سـبب هـذا التغيير السعيد. تعلمنى فرقة مسرح "لاكوميـدى" أن ب.- آ. ت كـان خلال ذلك الوقت قد عاد إلى ليون، لكنه هذه المرة التقى هنالـك بـ "جاك لومارشان". بروفة جديدة. وبما أن لومارشان يقول بعـد خمـس دقائق : "ولكن، هذا شىء رائـع ! ". يتراجـع ب.- آ. ت : "حتمًـا.. حتمًا، ولكن البروفة التى نحضرها الآن لا تمت بصلة إلـى البروفـة السابقة التى، والحق يقال، أثارت سـخطى. إن المـسرحية لـم تكـن جاهزة، هذا كل شىء".

وواقع الأمر أن الفرقة لم تقم خلال ذلك الوقت بأية بروفة. لقـد ضحكنا من أعماقنا مع لومارشان فيما بعد، ونحـن نتـذكر التغييـر الجذرى المفاجئ لموقف ب.- آ. ت. نشد الرحال إلى ليون، ونحضر

عرضًا لمسرحية باولو باولى. المسرحية تسير بنجـــاح، النـــصر فـــى حوزتى.

باريس. نستقر فى فندق " دوسين"، الـــذى ســـنبقى فيـــه عـــشر سنوات.

إيطاليا، روما التى نصح بها سارتر. "كـــارلوليفى" الـــذى يـــدير رؤوسنا بالحكايات. يقص علينا واحدة من بين أخريات، كيـــف كـــان الفاشيون يطلبون نقودًا من السياح من أجل "الاستيلاء على روما".

أما نحن فننفجر بالضحك.

فى "ليفورن" نادلات المقاهى الجميلات، كلهن مكتسيات بالأزرق. ضحكات الأطفال عند هبوط الليل.

العودة إلى باريس. المكتبة الواقعة فى شارع "راســـين"، ومبنـــى مكاتب الخلية الشيوعية فى "فيو كولومبييه" كانا قد تعرضـــا للهجـــوم. تستمر حرب الجزائر بضراوة، والفاشيون يحضرون لضربتهم.

مسرحية باولو تنقل على مسرح فيو كولومبييه.

باولو هو العرض المسرحى الأول لـــ بلانشون فى باريس.

ولكن، كان لا بد من تدخل "روجيـــه مارتـــان دوجـــار"، أحـــد الحائزين القدامى على جائزة نوبل، حتى تتخلى لجنة الفنـــون والآداب عن معارضتها. كانوا قد تركونا بسلام فـــى ليـــون؛ أمـــا أن نجـــرؤ الحضور إلى باريس، قصة كهذه... !

وأخيرًا، كانت الجولة الثانية من هذه المعركة بدورها رابحة.

نجاح شعبى لمسرحية باولو باولى. تم ذلك بمساعدة "اللجنة العامة للعمل" والشيوعيين، هذا صحيح، إذ كانت الأماكن كلها تحجز عشرة أيام قبل العرض، ولكن البرجوازية تركت نفسها تستسلم، فحضرت العروض بدورها.

افتراءات كاذبة يوميًا فى جريدة "لوفيجارو"، تتهم الشبيبة الشيوعية بأنها قامت بتنظيم التصفيق المأجور.

ولكن لجنة الفنون والآداب ترقب بحذر. فقد كان من المتفق عليه ألا نعرض المسرحية فى باريس أكثر من ثلاثين مرة، وقد كنا منذ فترة قد تجاوزنا هذا الرقم بكثير. فإذا عاند دورينز، مدير مسرح لوفيو كولومبييه، قرارات اللجنة فإنه لن يتلقى فى المستقبل أية إعانات مالية.

يتراجع دورينز خائفًا أمام هذا الابتزاز. لم يكن الوحيد فى هذه الحال.

لن يعاد عرض باولو باولى فى أى مسرح باريسى آخر.

عروض باولو باولى فى الألمانيتين، فى هانوفر أولاً، وبعدها مباشرة فى لا يبزغ. "جيزيلا بيستر هورن" رائعة فى دور ستيلا.

يريد "أنجيل" القيام بإخراج المسرحية، وكان قد بدأ فعلاً العمل بها، ولكنه يسقط طريح مرض شديد. كم كنت أتمنى أن أرى مسرحية

باولو على مسرح "بيرلينر أنسامبل" [1]، كان من الممكن أن تكون سعادة بالغة !

إذا كانت باولو باولى لن تمثل على مسرح "بيرلينر أنسامبل"، فإنها كذلك لن تمثل اعتبارًا من ذلك الوقت فى الجمهورية الفدرالية.

ألم تكن لدى جرأة، فى مؤتمر صحفى فى برلين الغربية، على القول إننى كنت ذاهبًا لحضور مسرحيتى فى لا يبزغ ؟ ! عندها خيم صمت ثقيل، ثم سألتنى صحافية وهى تتلعثم : "إذن.. أنتم ستذهبون.. إلى.. " لم تكن تجرؤ على إتمام جملتها، تكملها رغم ذلك، تجرؤ فى نهاية الأمر.

".. إلى لا يبزغ ! - طبعًا." ومنذ يوم مؤتمرى الصحفى فى برلين، أصبحت فى الغرب مؤلفًا فاشلاً، مجرد شيوعى.

---

(١) "بيرلينر أنسامبل" هو المسرح الذى أنشأه بريخت فى لا يبزغ . (المترجم)

الفصل السابع

مسرح، سياسة

أموال، هوس

١٣آيار/مايو١٩٥٨. استولى الفاشيون على السلطة فى الجزائر. دوجول، مرفوعًا على أكتافهم، مبتسمًا، راضيًا، يبعث من جديد.

تنتسب بيزون إلى الحزب الشيوعى (بادرتها الاستقلالية الأولى). أفكر أنا أيضًا بالطبع بالانتساب، ولكننى أتردد. ما كنت حقيقة متفقًا مع أتباعه حول بعض المسائل؛ ثم يرى بعض الأصدقاء الشيوعيين أننى سأقدم خدمات للحزب الشيوعى من الخارج، أكثر مما لو كنت منسبًا إليه.

نتظاهر مع الشيوعيين، نحن المثقفين غير الشيوعيين؛ جان – بول سارتر، وسيمون دو بوفوار، وبعض الآخرين، ومن بينهم أنا. تقوم الشرطة بالإغارة على حى "جوبلان"، تهتاج، يجن جنونها، فتقتل عاملاً عجوزًا : أوغوست روب.

نقرر أن نذهب إلى البحر، ولكن هذه المرة سنبقى فى فرنسا. نستأجر ڤيلا مع دونيز، وجى، وعائلة رينيو فى طولون.

نحاول أن نكتب مسرحيات قصيرة سياسية ساخرة، مشهرين بالدجل القادم، ولكننا لا نوفق فى ذلك. كانت تنقصنا مسافة من البعد والتريث.

ننقش على الأرصفة والجدران صلبان اللورين وصلبان "سفاستيكا"[١]، متداخلة بعضها مع بعض.

نتسكع فى حى البغاء الذى كان يسمى قبل الحرب: "بلاط الحب".

إنه اليوم أقل جاذبية، فالمومسات هنا مكتنزات، وقبيحات؛ والبارات كئيبة، على الرغم من أنها مكتظة بالرواد.

أنا فى وضع سيئ جدًا، أقضى حيزًا من الوقت وأنا أقود الدراجة شبه عار. إنها من جديد حالة السكر القذر القديم.

بيزون فى وضع سيئ جدًا أيضًا، ولدىَّ شعور بأنها تبتعد عنى، وبأنها بدأت تمل من الحياة التى تعيشها. هى تريد أن تنجو بنفسها، فتحاول حرفيًا أن تحقق ذلك، فتقفز فى إحدى الليالى فوق حاجز حديقتنا الشبكى، تجرح نفسها، تكسر خاتمها - الذى هو فى الواقع خاتمى. نبحث عن صيدلية مناوبة، نعثر عليها، فنقوم بعلاج بيزون.

---

(١) صليب سفاستيكا المعقوف الذى أصبح شعارًا للنازية. (المترجم)

وعلى جدران الصيدلية نقوم بممارسة الجنس. لقد كانت تعانى لا نه لم يكن لديها عشيق، وسرعان ما ستعثر على واحد فى باريس. ومع ذلك، فأنا أحتفظ بذكرى طيبة من مدينة طولون، من "ليه سابليت".

وأخيرًا، موريس الذى يبدو هادئًا، مرتاحًا.

البحر حار. نسترجع ألعابنا القديمة، تقول لى : "سآتى إليك مثل الحوت"، تسبح، تنضم إلى، أفتح ذراعى، أحضنها.

لماذا كانت مرحلة طولون قاتمة بالنسبة إلينا بهذا الشكل ؟ !

كان ذلك بسبب السياسة، إلى حد كبير.

كيف سنجد باريس عند عودتنا ؟ ما الذى سيحدث هنالك ؟

باريس. الرابع من أيلول - سبتمبر. مظاهرة جديدة ضد الديغولية. نخرج فى مسيرات. فى ساحة "آرزيه ميتييه" يشن رجال الشرطة هجومًا. يمتلئ المقهى الذى دخلناه أنا، وسيمون دو بوفوار، وبيزون، وإيفلين ريه لا حتساء مشروب، يمتلئ فجأة بعمال مخضبين بالدماء. لقد قامت الشرطة بعملها، وقد فتح مقهانا أبوابه لتسهيل دخول الجرحى؛ لم تفعل المقاهى كلها الشيء نفسه.

٢٩ أيلول – سبتمبر. الاستفتاء. نذهب أولاً إلى منزل دورت [١]، ثم إلى الخلية الشيوعية فى مسرح فيو كولومبييه، حيث نحصل على نتائج الاستفتاء. تصوت فرنسا كلها، ماعدا بعض الاستثناءات، مع دوجول. لم يعد لنا من أمل إلا فى الضواحى. تمر نصف ساعة، يتحدد الأمر بالنسبة إلينا، إذ تقول مدن سان دونى، وإيفرى، ومونتروى نعم أيضًا. مازلت أتخيل "ديسو" فى آخر الصالة مع روزا، يفتح زجاجة نبيذ أحمر، ثم أخرى، وثالثة أيضًا؛ نشرب، نضحك، كما يضحك المرء من التعب واليأس. ولا تدمع عيوننا إلا عندما نتبادل كلمة الوداع.

شتاء ١٩٥٨-١٩٥٩. أعمل فى مسرحية "ربيع ٧١"، وببرامج إذاعية أيضًا. أريد أن أحصل على المال، فأحصل عليه، لكننى أنسى بياناتنا الضريبية. يكلفنا هذا النسيان غاليًا، فنصف أرباحنا تحديدًا سوف تذهب، ومازالت تذهب إلى الجابى.

ندعى إلى برلين بمناسبة الذكرى السنوية للجمهورية الديمقراطية الألمانية. لقد مر أكثر من سنتين على وفاة بريخت.

بريخت، أعظم كاتب مسرحى فى هذا القرن. ولكن لم أكد أعرفه تمامًا، إذ أمضيت معه فقط فترة ما بعد الظهر، عندما كان مريضًا طريح الفراش، وتكلمنا كثيرًا عن بوخنير.

---

(١) هو برنار دورت، من أكبر المسرحيين الفرنسيين آنذاك. (المترجم)

" هانز آيزلير". نتعاطى الشراب معًا. لقد كنت أحبه كثيرًا.

استعراض لا ينسى : موكب يمر خلف علم أحمر، وهو يقسم مدينة برلين الشرقية مقتحمًا بتحد الجماهير اللامبالية. فى هذا الموكب، لا شيء سوى نساء مسنات، ومسنين، وذوى عاهات، بوجوه جميلة، يفتك الداء بهم - إنهم الناجون من معسكرات الاعتقال. يتبع هذا الموكب صبيان، وفتيات صغيرات، وأطفال مدارس، مطيعين، متقيدين بالأنظمة. ما من متظاهر واحد يقع عمره بين السابعة عشرة والخمسين عامًا. نعرف أسباب هذه الفجوة.

تقريبًا، كل مساء فى مسرح شيغبا ويردام.

فى بار "كلاينيه ميلودى" حيث خرجت مع جيسيل بريخت، إحدى نادلات المشرب، سمراء، مديدة القامة، نحيلة جدًّا، تحل رباط خصرها وهى ضاحكة، تمده لنا بإثارة وإغراء : "اكتبوا أسماءكم داخل رباطى". نطيعها.

أقوم بالعمل على توثيق مسرحيتى" ربيع ٧١ ". صالة الحوليات فى المكتبة الوطنية مرة أخرى. لا أدرى كم أقرأ من صحف رجال الكومونة وفرساى؛ لقد بدأت أعرف عن ظهر قلب كل ما حدث بين الثامن عشر من آذار- مارس والحادى والثلاثين من آيار - مايو ١٨٧١.

قصائد كومونة باريس المجنونة.

النساء اللواتى يخطن أكياسًا من أجل المتاريس، النساء وهن يحملن بين أيديهن العارية باقات هائلة من الورود والبنفسج من ضاحيتى أوتوى وإيسى، حيث ستنشب المجازر بينهما لاحقًا.

ثمة أطفال يتقافزون بألبستهم الموحدة المطرزة بـــ "أطفال الأب دوشين"، وبـــ "المنتقمون لفلورانس" [1].

حفلات موسيقية فى حدائق "التويلرى"، جمع التبرعات من أجل الأيتام، فرشات مرتجلة، عربات موتى تجول فى بحر من الأعلام الحمر.

وفى نهاية المطاف، بلاغات بعضها غامض، والبعض الآخر واضح، وثيقة الصلة بالموضوع، نافذة البصر، داعية الشعب إلى التفكير، وإلى الحذر، وإلى الدفاع عن المكتسبات التى تم الحصول عليها بأقسى الصعوبات.

باريس مدينة جلية.

تقرر بيزون العمل فى دار النشر "دو لا رش" التى يديرها "روبير فوازان". يصيبنى قرارها بالحزن، ولكننى لا أجرؤ على التدخل. (بادرتها الاستقلالية الثانية)

---

(١) أسماء صحف كانت متداولة أيام الكومونة. (المترجم).

أدعى إلى الولايات المتحدة من أجل افتتاح العرض الأول لمسرحية "بينغ – بونغ" فى مسرح "أوف برودواى". تسقط المسرحية بعد عرضين؛ لم يكن المخرج "كوردبيه"، البلجيكى، قد فهم أن عليه لا ذهال الأمريكيين أن يصم آذانهم بضجيج البليياردو الكهربائى، وأن يبهر عيونهم بأضوائه، ويرعبهم بالوعيد الرنان للآلة، الذى يتبعه صمت وعتمة، موت على كل حال. (الجهاز الكهربائى فى إخراج كوردبيه مبعد بين الإكسيسوارات، يكاد لا يرى)

أتعرف فى بيت "آرثر ميلر"، (وهو كاتب أقدره لا نه من القلائل الذين لم يشوا برفاقهم فى عهد المكارثية؛ ولكننى، والحق يقال، لا أحب مسرحياته : واقعية وباهتة) يعرفنى على مارلين مونرو التى كانت زوجته آنذاك.

مارلين مونرو أعظم ممثلة حديثة ربما، مؤثرة وذكية حقًّا. تقص علىَّ آخر مقابلاتها مع أحد الصحافيين.

هو : مارلين مونرو، ماهى بصراحة أمنيتك المفضلة ؟

هى : أن تذكر مقاساتى على شاهد القبر، هيا !...

لقد كانت تضحك وهى تحدثنى عن هذه الطرفة. إنها ميتة الآن، إذ كانت أكثر حساسية من تحمل كل تلك الملايين من النظرات الفضولية، والمقززة، والقاسية، المسلطة عليها.

كنا نتقاسم ليالينا بين "غرينيتش فيلاج" - التى تقابل فى باريس حى"سان جرمان دوبريه"، ولكنها ليست رديئة، (إذ يمكن التنزه فيها مشيًا على الأقدام، وهذا شيء له أهميته أيضًا) - وبين حى هارلم الذى كان من الممكن التردد عليه فى ذلك الوقت.

يدعونى صديق مترجمى "ريتشارد هاورد" إلى منزل أخيه، وهو مقاول فاحش الثراء. يملك منزلاً على بعد خطوات من "جنرال موتورز"، وفى حديقته تماثيل (أتروية)[١]، وفى شقته لوحات تجريدية، وعنده زوجة أيضًا تتكلم الفرنسية بطلاقة. تقول لى إنها لا تذهب أبدًا إلى هارلم، وإنها حزينة لذلك. فهى تحب كثيرًا (السود)، ولكنهم لا يبادلونها الحب، ماذا بوسعها أن تفعل ؟ وخلال حديثها يدخل طفل صغير راكضًا وذراعاه ممدودتان نحو أمه، بين لوحات فنية من أعمال "كاندينسكى" و"بولياكوف"، ألحظ خلف الطفل امرأة بصدير بيضاء، أحزر أنها المربية، فأقول : إذا كنت تعتقدين بأن السود يكرهونك، فلماذا تتخذين إذًا امرأة سوداء للعناية بطفلك ؟ ربما لأن السود يحبون الأطفال كثيرًا.

وتضيف متحدثة بالإنجليزية فجأة : "هم ليسوا خطرين، عندما لا يكون بعضهم مع البعض الآخر".

---

(١) صفة تطلق فى القرن التاسع عشر على التماثيل الإغريقية التى وجدت فى إيطاليا. (المترجم)

باريس من جديد. ألحظ فى "أولد نايفى" امرأة يانعة الصبا بعينين براقتين. أجدها جميلة، وذكية، ومؤثرة؛ إنها تملك كل ذلك معًا. أهيم حبًّا بها، نتبادل القبل.

لقد كنت أفتنها، وأصيبها بالخوف فى الوقت نفسه.

كانت أمًّا لطفل، وهو صبى صغير جدًّا، كانت تحمله على صدرها فى حمالة، وتسير به فى شوارع مونمارتر حيث تقطن.

كان زوجها جنديًّا فى الجزائر.

لم تكن بيزون تعرف ميراى بعد، ولكنها كانت تحدس بأننى أفكر بأخرى. أريد أن أقول لها الحقيقة، ولكنها تشيح بوجهها عنى، وفجأة تقول بخبث : "أنا لا أسألك شيئًا ".

فى تلك الفترة تقريبًا، كانت تتركنى فى عطلات نهاية الأسبوع كلها، وتحدثنى عن ضفاف نهر "لامارن" حيث كانت تتنزه وتستحم. أسألها : "ولكنك لست وحيدة هنالك، لديك صديق ! " فلا ترد.

أمام صمتها، كانت تجتاحنى رغبة مجنونة بالبكاء. إذًا، أنا لا أحب ميراى، ولكنى مع ذلك أحبها، لا ، إنها بيزون التى تهمنى ولا أحد سواها.

مرحلة مروعة؛ إذ كنت جاهلاً بما يمكننى فعله، وغير قادر على الكتابة، وكان ينتهى بى المطاف دائمًا إلى حى البغاء، فلتدسنى الفتيات بكعوب أحذيتهن العالية !

أصعد مع مومس ورجل، يمارسان الجنس، أرقبهما، ثم أنضم إليهما.

بدأت أفهم فجأة مسرح "ماريفو"، غير المباشر، ولعبة المرايا الموضوعة. إننى مدين بهذا الفهم لبلانشون. كان يعرض فى باريس مسرحية "المفاجأة الثانية للحب". الأسياد يعشقون فيما بينهم، ينظرون بعضهم إلى بعض، والخدم المتلصصون يختلسون النظر إلى الأسياد، ويحاكون تصرفاتهم. كان ديكورًا رائعًا ذلك الذى صممه آليو الذى كنت ألتقى به غالبًا فى تلك الفترة. أحببت أيضًا طريقة تمثيل "مالكار يبوفسكا".

ترافقنى ميراى، أنظر إليها وهى تتابع العرض. أحيانًا تدير وجهها، فتنظر إلىَّ بدورها، وتبتسم.

دعيت إلى تشيكوسلوفاكيا لحضور مهرجان "كارلوفى فارى".

ترافقنى بيزون، ولكنها ستبقى فى براغ عند إحدى صديقاتها "إيفيت"، وهى حنونة، ومتشاغلة، ومخلصة، ومريضة، وكثيرة النسيان، وجشعة. كنت فى غاية السعادة لا ستقبال بيزون لى عند عودتى من كارلوفى فارى. كان يمكن لرحيلنا إلى براغ، أنا وبيزون، فى القطار فى عربة النوم، أن يكون احتفالاً، ولكن شيئًا من هذا لم يحدث.

براغ مزينة بالأعلام الحمر، كان ذلك فى يوم الرواد العسكريين، ينشد الأطفال من مدارس البلاد كلها، وهم يتقاطرون فى الرتل. وفى الطريق الذى يمرون منه، امرأة عجوز مرتدية السواد تصيح : "يعيش السلام، يعيش جيشنا، تعيش الشيوعية الدولية".

وكجميع المثقفين، كنت أتوجّس خيفة من تقاطر هؤلاء الأطفال، كنت أخاف أن يعم هنالك النظام والهيجان فى آن معًا؛ وبكلمة واحدة استعادة النازية. ليس فقط أننى لم أجدها، بل اكتشفت نقيضها.

كارلوفى فارى. استلم رسالة من ميراى التى لا تترك لى أى أمل، ولا تترك أيضًا لنفسها أى بصيص منه. أنا فى وضع سيئ، أتعاطى المشروبات والملل يجتاحنى. وهذا غير مسموح به.

خطابات لا تنتهى. مندوب بلغارى بخاصة يجعلنى أصاب بالجنون؛ فهو يمضى ساعات طوالاً يتحدث عن شمس الاشتراكية التى تسطع فوق بلغاريا.

شتاء ١٩٥٩-١٩٦٠. تتغير طبيعة علاقتى مع ميراى، تصبح بالنسبة إلىّ مجرد صديقة.

يقدم بلانشون إعدادى لمسرحية " الأرواح الميتة" فى فيلوربان أولاً، وبعدها فى باريس، فى مسرح الـــ "أوديون القديم" الذى تحول اسمه اليوم إلى "تياتر دو فرنس". أنا غير راض عن عملى هذا، وعن طريقة بلانشون فى الإخراج، وعن الأشرطة الفوتوغرافية التى عرضها "رونيه آليو"، رغم أنها كانت جميلة.

مرة أخرى إخراج لمسرحية "الأرواح الميتة"، المعنونة : "الأنوف المزيفة"؛ إنها ذات وظيفة ثنائية الحد. لماذا نضيف لشخصيات هى فى الأصل كاريكاتورية صبغة كاريكاتورية صاخبة أخرى، وتهريجية ؟

بدأت أعتاد على شرب البيرة منذ الصباح. أوقع إعلان (١٢١)، دفاع غير مشروط عن إرهاب جبهة التحرير الوطنية الجزائرى، كإجراء مضاد على الاعتداء الوحشى الفرنسى.

الشرطة فى الفندق.

نجاح غير مفهوم للبيان. الكثيرون ينضمون إلينا. ليس مهمًا إذا كان بين الـ (١٢١) الذين أصبحوا (٢٦٠)، كما أعتقد، الكثير من البرجوازيين الصغار (الذين أعطوا توقيعهم لا ن أحد أصدقائهم أو شخصًا كانوا بحاجة إليه قد وقع، وكذلك لا نهم لم يكونوا يريدون أن يظهروا جبناء)، فالنتيجة وحدها تهم : إن تعذيب "إليغ" واغتيال "أودان" قد اتضحا واستهجنا.

لم يعد بإمكان كل الموقعين على البيان العمل فى الإذاعة أو فى التلفزيون. لحسن الحظ أن أصدقاء ألمانيين وإنجليزيين يمدون لنا يد المساعدة، يقدمون لنا عملاً. لم نعد نخشى من الموت جوعًا.

بيد أن قلقى أخذ فى الازدياد، أتعاطى الشراب أكثر فأكثر.

الخامسة فجرًا فى ساحة "بيغال". أخرج من بار "عند إيزابيل" حيث أصبت بالملل حتى الموت، وقد شربت آنفا.

تستوقفنى فتاتان، أصعد معهما. تعترفان لى بنزاهة أنهما مخنثتان. ثملاً لا تصدر منى أية ردة فعل. إذًا، كانا رجلين من سرقانى واعتديا علىَّ بالضرب. أشتكى فى استقبال الفندق. موظفة الاستقبال سيدة عجوز، دون شك : "من المحزن أن نرى ذلك على أية حال."

أهرع إلى صديقى "ف."، شارع ماجينتا، أوقظه، وأستدين منه نصف المبلغ الذى سرق منى، دار نشر "جاليمار" تكمل الباقى.

عطلتنا، عطلتى مع بيزون قد تم إنقاذها، ولكن الشعور بالعار ما زال باقيًا.

ماذا تفعل بيزون أيضًا فى كاركاسون ؟ أقوم بإقراضها بعض العشاق. حالتى تسوء أكثر فأكثر، أشرب أكثر فأكثر، لا أقوى على إنهاء مسرحية ربيع ٧١. "أرحل إلى دييب" لا ستعيد نفسى.

فى إحدى الليالى الماطرة، أفتح مخطوطى. لا أستطيع قراءة ما كتبت، ولا أفهم مطلقًا أى شىء عن مسرحيتى. أجهش بالبكاء، وبعدها ينتهى بى المطاف داخل بار، حيث لا يوجد حتى فتيات.

عند عودتى، أسقط على السلالم.

ألتقى ثانية بـ بيزون فى كاركاسون، مرتاحة، وقد لوحتها الشمس، إنها هنا، أشعر بالسعادة. أستعيد ثقتى بنفسى.

أرجع ثانية إلى مسرحيتى. أرغب بالعمل فيها فى الحال، فأعود للكتابة.

سأتابع الكتابة فى مدينة "سيت" حيث نرحل معًا، وفى برشلونة حيث أذهب وحيدًا لبضعة أيام.

شتاء ١٩٦٠. أشعر بتحسن، أتمكن من الكتابة، فأنهى "ربيع ٧١"، ولكنى أحصى برعب عدد الشخصيات، إنها أربعون على الأقل. من سيقوم بإخراج هذه المسرحية ؟ !.. ليس فقط لا نها عدائية، وضد البرجوازية، بل الأكثر من ذلك أنها تكلف ثروة.

كرجل معتد بذاته، سألقى عقابى.

كان على أن ألقى محاضرة فى المعهد الفرنسى فى كوبينهاجن، ولكن رئيس المعهد يكتب لى محرجًا، محاولاً إفهامى أن المشروع لن يتحقق لا ننى وقعت البيان (١٢١)؛ ولو كان الأمر بيده، طبعًا...

أدعى إلى السويد من قبل الطلاب اليساريين. ما أجمل هذا البلد، حيث البحر يرتد إليه دون توقف، ما كدنا نتركه حتى نلقاه مرة أخرى. النوارس على القارب الذى يقلنى إلى جوتنبرج كثيرة العدد، حتى أن النهار يصبح بسببها منتصف الليل.

استوكهولم. أحرض مستمعى للذهاب ومشاهدة الجزائريين على شاشة تلفازهم، أثناء التحقيق معهم فى باريس.

(ربورتاج إحدى الصحفيات السويديات الجسورات التى بسببه لن تحصل بعدها على تأشيرة دخول إلى فرنسا).

أجل، هنالك من يمارس التعذيب فى أعماق أقبية الدائرة الثالثة عشر.

الطلاب الدانماركيون، وقد أصيبوا بالعدوى من أخوتهم الإسكندنافيين، يدعوننى بدورهم. أرحل إلى كوبنهاجن.

هامبورغ – سانكت باولى. أبقى هناك يومًا وليلة واحدة، ليس أكثر، لقد قررت الأمر كذلك.

الساعة الثانية بعد الظهر. بار أضواؤه كلها منارة، وتصدح فيه الموسيقى آنفًا.

واقفًا إلى المشرب. ثمة شاب وعجوز يتناقشان، ويتخاصمان؛ فتاة يافعة بوجه متطاول وعينين كبيرتين زرقاوين كأزهار الدالى، تقف إلى جانب الشاب، تتابع المحادثة، وأنا كنت أتابعها أيضًا. ولكن بما أن المحادثة كانت تجرى بالألمانية، وكانت الموسيقى تطغى على الأصوات، فلم أكن أتابعه جيدًا. أحزر على أية حال أن أحد الرجلين نازى، والآخر ضد النازية. (كان الاثنان وسيمى الوجه).

وعندما، فجأة، يأخذ العجوز بفك أزرار قميصه مشيرًا إلى صدره المحطم، صائحًا : "لقد كان ذلك فى ستالينغراد، بسبب غلطته، بسبب غلطته. لن أغفر أبدًا." يصدق حدسى، تحاول الفتاة اليافعة تهدئة

العجوز، تزر له القميص بنعومة وحذر. أنظر إليها؛ أتراها فقط لا حظتني ؟ لا أدرى من ذلك شيئًا.

ساعة تمضى، أراها ثانية فى بار آخر فى سانكت باولى مع فتاة ذات مظهر عادى، أمام طبق هزيل من المقانق. تقول لى : "تفضل بالجلوس". أذعن، أتكلم معها، أحدق بها، تتورد وجنتاها.

يرحل قطارى بعد حوالى ثلاثة أرباع الساعة، وكان الوقت قد أدركنى آنفًا، وعلى أن أرحل بأسرع وقت ممكن وأتركها. تقبلنى فوق جبهتى طويلاً وببطء، كما لو كانت تحبنى : "سعيدة بلقائك مرة أخرى، وأريدك أن تعرف ذلك".

لقد كانت رحالة إسكندنافية سعيدة. أنا شربت دون مُغالاة، وتعرفت على أصدقاء، ولم أتسكع طوال الليل فى أحياء البغاء.

تموز ١٩٦١. نتزوج أنا وبيزون، وهذا ما يجعلنا، بكل بساطة، نزداد سوءًا.

يتمنى لنا نائب المحافظ (م. ر. ب.) السعادة : "أتمنى ألا يطفئ الزواج نار حبكما ".

آب ١٩٦١. عطلتنا الصيفية الحقيقية الثانية. نزهة بالسيارة عبر إيطاليا حيث تتعرض إيفلين ببنطالها للإعجاب والسخرية، على التوالى. تبادل عبارات المزاح حول الفنادق "جولى"، وعن حبى للقطارات. تفاهم خفى يبدأ بالتشكل بيننا.

نجد البحر الأدرياتيكى وردى اللون، هادئًا. وبعدها، هانحن فى مقاطعة بورتانيى، على المحيط الأطلسى. نقطن، أنا وبيزون، قريبًا جدًّا من منزل فوازان الذى كان مرتاحًا، حميميًّا. كان يخشى من التعرض للشمس، مما يدفعنى للضحك.

كنا نملك فى ذلك الوقت الكثير من النقود. لم أعد أذكر مطلقًا من أين جاءت.

شتاء ١٩٦١-١٩٦٢. الفاشيون يتسلون بوضع قنابل بلاستيكية ضد من وقف فى وجه استفزازاتهم. "فلاديمير بوزنير" أضحى مشوه الملامح.

تفجيرات عدة بالقنابل البلاستيكية يوميًّا. نقوم بهجوم مضاد على أماكن الأحداث، نقوم بمسيرات فى الشوارع، حتى ولو لم نكن سوى عشرين أو خمسة عشر أو عشرة. دائمًا الشعارات ذاتها : أو. آ. س. قتلة. والأكثرنا فطنة، والذى هو أنا بالتأكيد، يضيف : دوغول متواطئ. يصرخ المهتاجون : دوغول قاتل. يتم إلقاءالقبض على "جى".

لقائى بـــ"هنرى مارتان".

أكتب مسرحية "سياسة البقايا"، منطلقًا من ملاحظة سريرية للدكتور "مينكوفسكى". الخوف من كل شىء مبعثر على الأرض؛ أعقاب سجائر، أشياء تافهة مصنوعة من القش، فضلات. إذ يتصور المريض نفسه مجبرًا على ابتلاع هذه البقايا كلها، وعندما يسأله

الطبيب عن الاسم الذى يمكن أن يعطيه لمرضه هذا، يجيب : سياسة البقايا.

أنقل أحداث مسرحيتى إلى أفريقيا الجنوبية، فى بيئة عنصرية، ولكنى أحتفظ بالعنوان.

إن "سياسة البقايا" مسرحية قصيرة ناجحة. وبما أننى مازلت أقوى على الكتابة، فكل شىء ليس سيئًا حاليًا؛ ولكننى أتناول المشروبات الكحولية بكميات كبيرة، فالقلق مازال هنا، مثابرًا.

ينزل الجزائريون القاطنون فى باريس إلى الشارع، يرفعون العلم الأخضر والأبيض. يأتى هجوم الشرطة المضاد سريعًا. وفى المساء ذاته الذى قامت فيه المظاهرة، كان هنالك مائة جزائرى أغرقوا فى النهر، وتم العثور على جثثهم، ولكن صالة استقبال الجثث مجهولة الهوية، ما كانت لتفتح أبوابها.

يكتب صديقنا "بينوش" على رصيف ضفة السين بأحرف هائلة سوداء نافرة، دون أن يلحظه أحد : "هنا نقوم بإغراق الجزائريين".

ربيع ١٩٦٢. نذهب، أنا، وبيزون، وآليو، ومالكان ميراى، ودورت، وهنريك، وإيفانكوف وأصدقاء آخرون كثر، مرة أخرى إلى لندن، لنرى هناك فى مسرح "يونيتى ثياتر" القضاء على مسرحيتى "ربيع ٧١".

ولكن الـرحلة كانت ممتعـة، كمـا أننى أحـب كثيرًا الـفرقة المسرحية، ورئيسها "مانى جولدشتاين" بخاصة. كيف يمكن أن أصفه ؟

إنه فى الوقت نفسه السيد بيك ويك اليهودى العادى من أوروبا الشرقية، والشيوعى الذكى، القادر على النقد والضحك.

ألتقى بإيرين مرة ثانية. إنها الآن فى لندن، مريضة، وتعيسة، ودون أصدقاء. أصبح فلوير كحوليًّا، عدائيًّا، إنه يعيش بسلام فى الوقت الحاضر، فقد هجرها. بيد أنه يدفع نفقة الطفلين اللذين أنجبهما من إيرين. تعيش إيرين مع أمها المنهكة، والمقعدة، والمريضة، والمصابة بالخرف إلى حد ما، هى وأطفالها الأربعة؛ اثنان منهم بيتر ودانى من أب يدعى (إس). دانى يعرف جيدًا "يونيتى ثياتر"، بفضل أحد الأصدقاء التروتسكيين الذى ستتزوجه إيرين، بعد بضع سنوات، وتنفصل عنه بعدها، كما أظن.

ألتقى ثانية بـ"جيا كوميتى" فى مقهى فلور. نتحدث عن الماضى، وعن صديقتنا المشتركة دانييل بخاصة.

بوتيغان يقوم بزيارتى. أصبح الآن أستاذًا، وزوجته تعمل فى الجامعة الجديدة. لم يتغير بوتيغان، لم يهرم، ومازال تاريخ الثورة الفرنسية يستهويه. نستذكر "هوبيرت" رجله العظيم فى الأيام السالفة، أيام مدرسة "لاكانال" حيث تعارفنا.

نضحك كثيرًا. لقد هدأت زيارة بوتيغان من روعى. أخيرًا، أجد شخصا" لم يتغير !

٨ شباط/فبراير ١٩٦٢. نخرج فى مسيرة تظاهرية فى شارع ديزيكول (المدارس)، نهتف بالشعارات المعتادة. وفى اليوم ذاته، وفى الساعة ذاتها، دون أن ندرى شيئًا عن ذلك، تقوم الشرطة بهجوم عنيف فى محطة مترو شارون.

١ شباط/فبراير مراسم دفن الضحايا. ترفع صور كل من دانييل فيرى، آن مارى جودو، ويهتف لاسميهما. كانت النساء يخرجن مراياهن ويوجهنها خلفهن محاولات إحصاء عدد المتظاهرين. كنا حوالى مليون متظاهر فى الشارع. تهدأ السلطة الديغولية بعض الشىء.

الفصل الثامن

صيف ١٩٦٢ – " ربيع ٧١ "

تموز/يوليو ١٩٦٢. كل الساعات التى أضعتها، السير الــذى لا ينتهى على غير هدى على ضــفاف الــسين، حيــث الأزواج الجــدد مستلقون بتراخ على الأرض. أى تباين !

يا لجمال بشرة نساء باريس، فى الصيف.

المازوخية، مناعة مكتسبة من الإخفاق الاجتماعى.

مازلت غير معترف بى؛ حسنًا، إذن، ألا يعترف بى أحــد علــى الإطلاق ! وليصبح وجهى وجسدى عندها دون معالم.

الفتيات اللواتى يعجبن بك، اللواتى يقبلن يديك، المراهقة المخيفــة بعينيها الفحميتين، فى "بوتى- تيكسيل".

آب/أغسطس ١٩٦٢. شهر رهيب. تتركنــى بيــزون وتــذهب لبضعة أيام إلى لا فاندو، لتنضم إلى بعض أصــدقائها. ألتقيهــا فــى طولون عند دونيز. صديقى "رينيو" هنالك أيــضًا، محبطًــا، صــامتًا. فرانسواز كما هى دائمًا، جسورة، شاردة، بصوتها الرتيب.

"مارينا دى رافينا". أحـــاول أن أعمـــل فـــى برنـــامج لا ذاعـــة شتوتغارت، لم يتسن لى ذلك، أصاب باليأس. بيزون، من جهتها، قلقة، حزينة.

مازلت لا أعرف السباحة كما ينبغى، أكتفـــى بالـــسباحة علـــى الظهر،أكتشف عجزى الغريب هذا.

نتوقف عند عودتنا فى "بوى- لى- بارونى"، قرب أورانج، عند ميراى. نزهة بأقدام عارية مع ميراى وبيزون، فى ذلك الـــذى كـــان نهـــرًا، وهو اليوم جاف تقريبًا.

ربيع ١٩٦٣. يقدم الحزب الشيوعى الإمكانية لكلود مارتـــان لا خراج مسرحيتى "ربيع ٧١" فى مسرح جيرار فيليب فى مدينـــة ســـان دونى. الاجتماع فى شارع "لوبولوتييه" فى الرقم ٤٤. كان حكام كـــل الضواحى التى استلمها الحزب الشيوعى حاضرين. لم يتأخر القـــرار : إنه فى صالحى.

لم يكتب لى أن أعانى من"الجهاز البيروقراطى" للحزب، إلا أننى أصبت بالحنق الشديد إثـــر المنافـــسات الشخـــصية بـــين الممثلـــين، والممثلات، والمخرجين المسرحيين.

كان الإخراج لكلود مارتان مؤثرًا، لكنه أكد أكثر مما ينبغى على الجانب العاطفى للكومونة، وكنت أنا نفسى قد جنحت آنفـــا إلـــى هـــذه الجهة.

أما بريخت فى مسرحيته "أيام الكومونة" فقد أخطأ، هـو، ناسـيًا هذا الجانب، بل متجاهلاً إياه.

كلود، قاتلاً نفسه بهذا الالتزام، يقتل الآخرين بشروطه الـصعبة ونزاهته المجنونة، وكذلك بتكرار ذكرياتـه وخيباتـه. (دراما فـى طولون).

فكرته لا نهاء المسرحية إحضار فتاة صغيرة تصعد على جدار، وتبتعد بتأن بينما نسمع نشيد الأممية بطيئًا جدًّا، خفيـة تقريبًـا. كنـت أفضل النهاية التى وضعتها أنا، والتى كانت أكثـر وضـوحًا : نـشيد الأممية بصخب بينما يتكون الديكور كله فى خلفية المسرح من خارطة باريس.

إن النقاد البرجوازيين، الذين كانوا يذمون مـسرحياتى الأولـى، يتحدثون اليوم بالتأكيد عن موهبتى الفذة كمسرحى جامح. لقـد كنـت أتوقع ذلك تمامًا.

تقدم العرائس فى أفضل صورة، كما لو كانت قبلاً مـن إخـراج ستايجر على مسرح "موتواليتييه". لقد حاز دومييه على الاحترام.

تنهى المسرحية عروضها فى مسرح "سان دونى".

لقد كانت خشبة المسرح ثقيلة جدًّا وكان يصعب نقلها إلى مكـان آخر.

وهذا كله بسبب جنونى للعظمة.

"إيديت سكوب"، فى دور بوليا فى أدق تفاصيله.

أجدها جميلة، وذكية، ومؤثرة، نصبح أصدقاء، ومازلنا حتى الآن.

بعد عام من هذا التاريخ، يعاد عرض مسرحية ربيع ٧١ فى المسرح الوطنى فى براتيسلافيا. لقد كانت تشيكوسلوفاكيا أول بلد اشتراكى أبدى اهتمامًا بى. أدعى إلى هنالك. أذهب فى الحال.

إخراج مسرحى يترك مجالاً للجدل - عرائس بالغة الروعة، ولكنها مختلفة عن عرائس باريس، ينشد الممثلون ألحانًا ساخرة - أفكر بـ "الناى المسحور". المخرج هو "هاس".

يقص على هولدوس، مترجمى، الذى أصبح صديقى، حكايته.

فهو فى الفرقة الأممية، ثم يجد نفسه فى السجون الفرانكية، ثم ينجح فى الهروب. مشكوكًا بأمره من قبل الفرنسيين، يسجن فى أفريقيا الشمالية، يلتحق بعدها بمجموعة " الجبهة الشعبية " من المقاومة الشيوعية، فيتم القبض عليه من قبل النازيين، ويسجن فى "بوشين فالد"، ثم يشى به السجناء الديغوليون فى المعتقل بأنه شيوعى، فيقضى عدة أشهر فى المعتقلات الأمريكية، وبعدها يطلق سراحه أخيرًا. يعود إلى تشيكوسلوفاكيا حيث يعامل كبطل، مكللاً بالنصر. لكنه سرعان ما يشك بأمره - فقد عاش فى الخارج أكثر مما ينبغى - يقضى خمس سنوات سجينًا أيام الحكم الستالينى.

كان قد حدثنى عن إقاماته فى السجن، ماخلا الشهر الأخير فى براتيسلافا. فى أحد الأيام، عندما كنا ذاهبين على المسرح لمشاهدة تدريبات "ربيع ٧١"، يأخذنى من ذراعى، قائلا : "أرجوك، دعنا لا نمر من هنا ولو أدى بنا الأمر إلى عمل لفة صغيرة، كنت مسجونًا لمدة خمس سنوات فى هذا الشارع بالتحديد، ومن قبل الرفاق، أتدرك معنى ذلك ! "

أدرك ذلك.

باريس. الضرائب. المسألة الآن تتعلق بمصادرة أرباحى بمجملها، ليس فقط نصفها. مثبط الهمة، فاقد الأمل حتى، قانطًا أيضًا لأن "ربيع ٧١" لم تستأنف عروضها فى باريس.

تنهال الضربات علىَّ، أرغب فى تلقى المزيد منها، أمضى أوقات مابعد الظهيرة كلها فى حى"الهال". إحدى الغانيات تهرس بكعبى حذائها العاليين قدمى العاريتين. تنفجر صديقاتها بالضحك.

"إذا قمنا بذلك كلنا، فماذا تعطينا ؟ "

أعلم نبأ أنه سوف تعرض مسرحية "ربيع ٧١" فى "لوبليانا". أصبح صديقًا لا حد أقوى المدافعين عنها، "نيجرو"، مدير المسرح الوطنى حيث سيتم تمثيلها.

لقد كان عليه من أجل فرضها أن يواجه هؤلاء الذين مازالوا ينتمون إلى التيار الستالينيى، والذين لا يفهمون شيئًا، على سبيل

المثال، من مسرح العرائس؛ ومن ناحية أخرى، الشبيبة التعديلية التـــى سئمت من كل مسرح سياست، مهما كان، مطالبة بمسرح يونسكو.

الفصل التاسع

معتدى علي

أيلول/سبتمبر ١٩٦٣. مهرجان إيديمبرغ.

آخذ هذه المرة بتعاطى الشراب جديًّا. أفقد الذاكرة، لم أعد أدرى أين أقطن، فيقودنى أصدقاء كل ليلة إلى بيتى بالسيارة.

جون آردين، الذى أحب عمله، زوجته بابتسامتها الساخرة، "فيسكير" الذى بقى يهوديًّا عاديًّا من فارسوفى، ومتباهيًا بذلك أيضًا. "آنى دوكلير" رشيقة، متفانية، التى لا يصيبها التعب.

مارغريت دوراس، مصابة بخيبة الأمل إلى أقصى حد. كانت تريد أن تقوم بنزهة لطيفة بالضواحى الجبلية من المدينة ولكن الضباب أخذ يخيم هناك. لم تعد الجبال مرئية، فيخبر سائق سيارة الأجرة، النزيه، الروائية بذلك الأمر.

المحاضرات التى ألقيها تكلل بالنجاح، إذ لم يكن الكحول فى تلك الفترة قد مس رأسى بسوء.

يرفض مكتب الأجانب إعطاء تأشيرات دخول بريطانية لفرقة "بيرلنز أنسامبل". نحتج كلنا بالإجماع تقريبًا. ولكى نكون عادلين، "كينيث تينان" فى المقدمة.

كدت أنسى؛ قبل الذهاب إلى إيدينبورغ، قمنا برحلة رائعة ومجنونة إلى كوبا...دعيت أنا وبيزون مع "ماتاراسو"، الذى سيصبح شريكنا فى الضحك، والدكتور "رو"، وآخرون أيضًا، من أجل الذكرى السنوية للثورة. نخرج من الطائرة المكيفة الهواء، فيصفعنا القيظ، ويخنقنا.

على أرض المطار المخطط بالأحمر، كتبت هذه الكلمات : "كوبا أرض حرة."

تحمل لنا وفود من الأطفال باحترام زهور الدلبوث.

نبقى ستة أسابيع فى كوبا؛ ثلاثة أسابيع فى هافانا، وثلاثة أسابيع أخرى نجول أرجاء البلاد فى سيارات كاديلاك قديمة متعبة، لم تعد تقريبًا صالحة للاستعمال.

فيديل كاسترو، ظاهر أكثر مما ينبغى، وحاضر فى كل مكان، ولكن ذكاءه جلى، وخطاباته تؤتى ثمارها.

يحضر لى أحد السود زجاجة بيرة مثلجة، بينما كنت فى حمام السباحة. نأخذ فى تبادل الأحاديث وأنا فى الماء، فيقول لى : "ماذا تنتظرون للقيام بالثورة فى فرنسا ؟ "

٢٦ تموز/يوليو. تتحول ساحة الثورة إلى بقعة سوداء من البشر. نشيد الأممية تهدر به حناجر رجال ونساء وأطفال من البيض والسود والخلاسيين. هم، هن، يرفعون أذرعهم، وتتشابك أيديهم وهم ينشدون.

الاشتراكية تحت الشمس. لقد عادت بهجة الأيام الأولى لكومونة باريس.

باريس. العودة من إيدينبورغ. أكتشف أننى أصبت بكسر فى أحد الضلوع. هل هذا بفعل إحدى الممارسات المازوخية المنسية، أم سقوط على السلالم ؟ أو أى شىء آخر ؟... لم أعد أذكر.

إن جسدى الذى ظل معافى حتى الآن، أصبح مهددًا وسيزداد سوءًا أكثر فأكثر، فالأحداث الدموية تقترب.

نلتقى فى مشرب فندق "مونتالامبير" بـ فايان وإليزابيت. أجد الجرأة لا قول لفايان إننى لا أحب مسرحية "القانون" على الرغم من جماليتها الشكلية التى لا تقبل الجدل (الانتقال من صيغة الفعل الماضى المستمر إلى الماضى المعرف، ومن صيغة الحاضر إلى صيغة الماضى المستمر). لكننى أعرف الجنوب الإيطالى حيث يخيم البؤس فيمحو كل شىء. إذا كان للأسياد القياصرة وجود فهم على أية حال ليسوا هناك.

يقول لى فايان إنه يكن الإعجاب لـ"كورتاد" لا ستمراره فى الحزب، إذ لم يكن هو يملك شجاعته. ويضيف، بأن المتعة، منذ الآن فصاعدًا هى وحدها تستأثر باهتمامه.

عرف روجيه فايان قبلاً دون شك أنه غير قابل للشفاء، فأخذ يشرب الويسكى دون توقف، متحديًا الموت.

أعثر على عنوان لمسرحيتى الجديدة، سأدعوها "القديسة أوروبا". أفكار كثيرة تخطر على بالى، أدون ملاحظاتى، لكنى لن أستطيع قراءة الكثير منها لعدم وضوحها.

(الكتابة التى تخذل صاحبها).

يصل قلقى إلى حد يصبح معه من المستحيل، بالنسبة إلىّ، حتى وقت الظهيرة، ليس فقط أن أعمل، بل وحتى أن أقوم بأقل حركة؛ أن أبسط الصحيفة مثلاً. أبقى لساعات كاملة أحدق فى نقطة ما، دون أن أستطيع بعد ذلك تحديد النقطة التى أحدق بها، أو أرى شيئًا ما، الرأس خال تمامًا.

يجب على أن أشرب على الأقل ثلاث زجاجات من البيرة الألمانية، وكأسًا أو كأسين من "الجين" كى أبدأ يومًا جيدًا. أشعر بالخوف، أسأل "ميشيل" إذا كان يعرف طبيبًا يستطيع فهمى، ومساعدتى. يعرفنى ميشيل بالدكتور (ل.)، فأذهب إليه كبداية، مرة واحدة فى الأسبوع.

المكتب الصغير الضيق، الوردى اللون، حيث كنت أنتظر دورى للدخول، يثيرنى ضد الطبيب (ل).

(ردة الفعل الأولى : سلبية. هذا أمر تقليدى معروف).

تشعر بيزون بالغيرة، فقد تكفل الـضمان الاجتمـاعى بنفقـات علاجى، وهى ترغب بأن يتحقق لها ذلك أيضًا. تحصل على ما تريـد وبسرعة كبيرة، فتبدأ بجلسات التحليل النفسى، وما تزال تتابعها حتـى الآن. فالتحليل النفسى يفيدها كثيرًا.

شتاء ١٩٦٤. مازلت أشرب كالمجنون. يريدنى الـدكتور ل. أن أتحدث عن هذا الموضوع، فينتهى بى الأمر إلـى الإذعـان، ولكنـى أكذب، أنقص بانتظام عدد الكؤوس التى أتجرعها إلى النصف.

بيزون، هى الأخرى، لمجاراتى وفق ذات النغمة، تبدأ بتعـاطى الشراب. ولكن الكحول يجعلها حزينة أو غاضبة. تأخذ فى البكاء مثـل طفلة، وفى بعض الأحيان، تترك نفسها تتهاوى فى الـشارع جامـدة، فألتقطها، لكنها تهرب منى، ثم أعثر عليها، وأعيدها إلى الفندق بعد أن تشرب هى أيضًا المزيد. نأوى إلى الفراش دائمًا متصالحين تقريبًا، إذا لم يكن هناك حل آخر. أما إذ بقينا متخاصمين فلا نجد النوم، لا أنـا ولا هى.

بدأت "القديسة أوروبا"، رغم حياتى الخرقاء، تتضح شيئًا فشيئًا.

الحروب الصليبية ضد الشرق [1] مكررة عن الحروب الصليبية القديمة. دجل الذين يجرؤون اليوم على استخدام لغة القرون الوسطى، ولعب دور الصليبيين، ودور الفرسان، وشعراء الغزل.

حلم الليل الذى يثأر لنا من يأس الأيام.

تعلقى، القابل للنقاش، بالفاسدين والذين لا يملكون شيئا"، والتائهين من كل نوع.

"مويلير- فان ديرسى" متنكرًا فى هيئة "تريستان"، المتنكر بدوره فى هيئة مجنون، أما "فرانشيسكا" فأصبحت العاهرة فى مشرب "جوبليه دارجان".

وعلى الرغم من ذلك، عندى شعور مضن بأننى أعمل فى جو من الاضطراب.

لقد بدأ الكحول يفعل فعله.

وكل تلك الفتيات اللواتى أغويتهن على منصات المشارب، واللواتى لم أعد أذكر حتى أسماءهن، ولا ملامحهن.

صيف ١٩٦٤. يتم الاعتداء على فى مدينة طولون.

أتسكع ثملاً من بار إلى بار. أحد الأوغاد من جماعة

---

(١) الحروب ضد أوروبا الشرقية، وضد الأنظمة اليسارية. (المترجم)

"القدم السوداء" [1] يريد أن يورطنى بفتـــاة جزائريـــة، مكتنـــزة وقبيحة، يدعى أنها أخته. لا أريد هذه الأخت، وبعد ساعة، ينتقم لنفسه فى شارع مقفر؛ يضع أصابعه فى عينى، ويسرقنى، ثم يولى هاربًا.

ينقلنى بحارة فوق سواعدهم إلى المشفى.

أتصل بـــ بيزون هاتفيًّا وكلى شعور بالخجل. إنها فى كروازيك عند فوازان المصاب بالإحباط. تعبر فرنسا لتأتى إلى، لتخرجنى مـــن المشفى، وتعيدنى إلى باريس. لا أريد منهـــا أن تـــصبح ممرضـــتى، ورغم هذا فهى كذلك. أعدها بأن أكف عن الشرب، وأحـــافظ علـــى عهدى مدة شهر تقريبًا.

الممرضة الصغيرة المسكينة التى لم تكن تعـــرف كيـــف تغـــرز الإبرة فى الوريد، تبكى.

"إنها ليست غلطتى، لم يعلمنى أحد، ولم أحصل على شهادتى".

لماذا تحصل على شهادة ؟ إذ سيترتب على ذلك أن يـــدفع لهـــا راتبًا أعلى، وهيئة إدارة المشفى تعرف ما تريده وما لا تريد.

تتناقص طقوسى الخرافية، فأشعر بالخوف :

---

(١) الفرنسيون واليهود فى أفريقية الشمالية. (المترجم)

ماذا يعنى ذلك ؟ !.. يعنى أنه لم يتبق لدى إلا القليل جدًّا من الأمل.

من أجل إضاعة الوقت فى الدق على الخشب، وفى إشعال عيدان الثقاب، وفى العد حتى الثلاثة، حتى السبعة، حتى الواحد والعشرين. من الواجب امتلاك إرادة النجاح، الإيمان بأن النجاح ممكن. أنا لم أعد بالتأكيد أؤمن بهذه المسألة.

أدعى لا عطاء دروس فى جامعة "كورنيل".

دروس، ومحاضرات، والمظاهرات الطلابية الأولى ضد حرب فيتنام الحقيرة.

نسخر من "روكفولير" الذى جاء لزيارتنا فى الجامعة؛ إذ نقوم بمسيرات فى "إتياكا" هاتفين بالشعارات المعتادة المناهضة للروح العسكرية.

ينظر المارة إلينا بحواجبهم المقطبة وعيونهم المتوعدة.

اليسار الأمريكى البائس أيضًا أكثر انقسامًا من نظيره الفرنسى.

أشرب أكثر فأكثر.

نيويورك تصيبنى بالخوف.

جسر بروكلاين حديدى، وعملاق، وبارد كالموت.

برودواى. الرجال والنساء والطاعنون فى السن الذين يجلسون على المقاعد، منذ شعاع الشمس الأول، بعيونهم المطفأة ورؤوسهم الثقيلة، ينظرون إلى السيارات المارة.

هارلم. إن الولوج إلى هذا الحى اليوم أصبح شبه مستحيل، ومع ذلك فقد ذهبنا إلى هنالك، ولكنهم ظنوا أننا من رجال الشرطة الفدرالية (F.B.I.).

الأوراق القذرة، صفحات دليل الهاتف الملطخة، التى تذروها الريح فى أرجاء نيويورك كلها، وتطردها.

قرية "غرينتش". ليليان إكس، وصديقها غبى، (نيتشاوى)، مجنون. هما قادمان من مدينة بال فى سويسرا، ويعرفان ميراى جيدًا.

أكتب إلى إيلزا تريوليه لا قول لها إن كتاب "الرفض الكبير" (Le Grand Jamais) أثّر فىّ.

الذكرى الوحيدة الإيجابية حقًا من هذه الإقامة : صداقتى مع "بييرو بوتشى"، الذى سنلتقى به فى الصيف التالى عند شقيقه فى "رابالو". دائمًا القصة التقليدية نفسها : لا ننا ضحكنا من الأشياء ذاتها، أصبحنا أصدقاء.

الفصل العاشر

المرض

بدءًا من هنا، سأوجز، أو سأحاول على الأقل.

إن ما يحدث لي مريع إلى أقصى حد. عبثًا أحاول أن أكسو ذكرياتي، لكنها ستتعرى، وتعرض ذاتها بالشكل الذي لا أريد أن أتعرف به عليها؛ شائنة، وحقيقية. على أية حال، لقد سئمت من استعادة ماضيٍ مثل الغرقى، إذ يقال إنهم يفعلون ذلك. فمنذ أشهر عديدة وأنا أقوم بفحصه، وبمعاينته... ذلك الماضي، وإن هذا لكاف.

الضوء الأبيض، الرهيب، الذي يسقط على كل ما قد كان.

من أجل أن نفهم ببساطة كيف وصل بي الأمر إلى هذه الحالة، وفي الوقت ذاته، فهم مذكراتي، أي المدونة التي تتسم بأكبر جفاء ممكن في سرد الأحداث المهمة التي ستتبع لاحقًا.

تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٥ : تتمة الكوارث.

احتقان رئوي. أكتب إلى موسكو، حيث كنت مدعوًا من قبل اتحاد الكتاب، لأقول إنني لن أستطيع الذهاب بسبب المرض.

وذَمة "كونيك" الموضعية، المهدئات ؟.. الأدوية ذات التـأثيرات الجانبية ؟ !... حادث سيارة، عدة قُطب فوق الجبهة. نقاهة.

كانون الثانى/يناير ١٩٦٦. أنتهى من كتابة "القديسة أوروبا" فـى أسوأ الظروف، وأحتسى الشراب أكثر فأكثر.

ذهنى يتشتت، وأحلام الليل ترعبنى، لقد بدأت تميـل للاخـتلاط بحياة الصحو عندى.

آذار/مارس ١٩٦٦. مدعوا" من قبل "لوستابيلى تياترو"، فى جنوة (إيطاليا) لافتتاح مسرحية "سياسة البقايا".

"تينو بوانزيللى" فى دور "جونى"، جبـار، ومجنـون، ومـؤثر، ووغد على التوالى. تينو بوانزيللى، مخرج مسرحي مرتجل : (جونى) تائه، يمارس ركوب الدراجة الهوائية فى مشفى المجانين.

نجاح جماهيرى، يأتينى التشجيع مرة أخرى أيضًا مـن خـارج فرنسا.

حى "إيل بريه" مازال كئيبًا كعهدى به فى الأيام الخوالى. تمـشى "رونيه سوريل" بخطوات وئيدة، منهكة، متكئة علـى كتـف "دورت" : إنهما أصدقاء، وقد رافقانى، وسيتحدثان عن العـرض فـى مجلـة "الآداب الفرنسية"، و "الأزمنة الحديثة".

جنوة.. دائمًا جميلة ومتوعدة.

نيسان/أبريل ١٩٦٦. الكحول الآن قد أغار على جسدى كله.

جلدى يتقشر، وهناك علامات سوداء وطويلة على وجهى وفوق يدى.

أقرر الذهاب للمعالجة من الإدمان الكحولى. كان للدكتور ل.، الذى لا أزال مداومًا بانتظام على عيادته، دور كبير فى قرارى هذا. حلم رهيب رأيته أيضًا.

آيار/مايو ١٩٦٦. المصح فى مدينة "إيبينيه".

أعالج من التسمم الكحولى. أنجح فى التخلص منه دون مشقة.

تهنئنى بيزون والأصدقاء، أعتقد أننى فزت بالنصر. سعيدًا تقريبًا

حزيران/يونيو ١٩٦٦. أدعى إلى فنلندا، إلى مؤتمر تقدمى للكتاب. أتعرف على "أستورياس" وزوجته، وتربط بيننا صداقة.

إننى أملك الشجاعة فى عدم تعاطى الشراب، وسط جمع يترنح سكرًا.

القبلات فى ليالى السهاد.

أقيم فى منزل والدة "ريتا" على ضفاف إحدى البحيرات.

كانت ريتا قد كفت تقريبًا عن تعاطى الشراب. شعرها الأشقر الباهت الطويل ماعاد يخضل بالبيرة والكالفادوس [1]، كما كان يحصل فيما مضى فى باريس. وهى لم تعد تبكى غالبًا كما فى السابق.

تموز/يوليو ١٩٦٦. الحالة تتردى. مازلت منقطعًا عن الشراب، ولكننى فى وضع سيئ جدًّا، فأنا لا أحتمل دون شك غياب الكحول.

لقد هتفت بالنصر قبل الأوان بكثير.

تستمر جلساتى مع الدكتور ل. تذهلنى إحدى هذه الجلسات.

يهيأ لى فجأة بأنى قد بدأت أفهم، وبشكل ملموس ما كنت لا أستطيع فهمه حتى الآن، إلا على نحو مجرد. ولكن مخاوفى تتضاعف بسرعة كبيرة، وتصبح أحلامى متوعدة أكثر فأكثر.

أخشى أن أؤول إلى الجنون.

أظن نفسى فقدت البصر؛ إذ إننى لم أعد فجأة أستطيع القراءة بنظاراتى المعتادة. أظن نفسى مصابًا بالشلل، إذ كنت أمشى بصعوبة.

---

(١) مشروب كحولى يصنع من عصير التفاح فى منطقة النورماندى بفرنسا. (المترجم)

أتبجح بغباء بأنني فى حالة "سايكوسوماتيكية" [١]

لم يعد لى سوى أمل واحد : البحر المشوب بالـشمس. بفـضل إيفلين، وسارتر الذى يؤكد لى مرة أخرى لطفه وكرمه، سيكون بوسعنا الذهاب.

سنسكن هنالك فى منزل عائلة "رينيـو"، فـى ضـواحى "سـان تروبيه".

آب/أغسطس ١٩٦٦. "سان تروبيه" . فترة عـصيبة . لا أريـد الذهاب إلى شاطئ البحر؛ أريد أن أنام فقط، لقد امتلأت بالتسمّم وأثيـر حزن الجميع. عدنا إلى باريس .

أيلول/ سبتمبر ١٩٦٦. ما زلت منقطعًا حتى الآن عن الشراب ، ولكن لا إراديًا أتصنع السكر ، فيرفض سائق أجرة أن يقلنـى مقتنعًـا بأننى ثمل . فى مشرب "أولد نيفى" أجأر بـصرخات صـاخبة طالبًـا أعدادًا كبيرة من مشروب "بيتر"، وكمًّا هائلاً من تلك المشروبات القذرة الخالية من الكحول ولكنها تحاكيه، وهذا كله دون شك لكـى أحـصل على بعض التعويض. غير أنى لا أحصل عليـه، فأغـضب، وأذهـل بيزون، فأصبح مثيرًا للسخرية.

تشرين الأول/أكتوبر. المصح فى "إيبينيه" من جديد.

---

(١) حين تتحول الهواجس والأوهام عن مرض ما إلى مرض حقيقى.(المترجم)

هذه المرة، تمتزج أحلامى كليًّا بحياتى الواقعية. أرى فى الطبيب (س) المختص بالطب العام، قوادًا تونسيًّا، وفى الممرضات شـــريكاته المتواطئات.

الكل هنا يقوم بنخاسة العبيد، أو بالأحرى، عبد واحد، هو أنا.

يبدو أننى طلبت، كما قالت ميراى الاتصال بـــ بيــزون هاتفيًّـــا، وإعلامها أننى هنا.

نوبات "أزمة جاكسون"، هكذا يدعونه.

يصاب الأطباء مثلى تمامًا بالدهشة، إذ لم يسبق لـــى أن أصـــبت أبدًا بحالة مشابهة.

تشرين الثانى/نوفمبر ١٩٦٦. يتم نقلى إلى مشفى "لابيتييه" حيث أوصـى بى ميشيل إلى البروفسور "دافيد".

نوبات جديدة. جهازى العصبى مخرب كليًّا. أفقـــد الـــذاكرة، لا أستردها إلا بعد فترة شهر.

تأتى بيزون لزيارتى مرتين فى اليوم. إنهـــا تحبنـــى، وأحبهـــا؛ سيكون على هذا التحقق المزدوج أن ينقذنى. لا ينقذنى، ولكن، لـــولا بيزون لكنت، جبان كما أنا، لكنت قتلت نفسى بالتأكيد.

الممرات فى مشفى لا بيتييه، حيث المرضى متراصون الواحـــد قرب الآخر، مكدسون كالحيوانات، نتيجة عـــدم وجـــود الاعتمـــادات

المالية. فحكومة "روتشيلو – دوغول" بخيلة، وكاذبة؛ كنت أتنبأ بــذلك، أما الآن فأنا على يقين.

كانون الثانى/يناير ١٩٦٧.

نغادر فندق "نهر السين"، ونستأجر شقة فى شارع "شــامبليون". إنها بيزون التى بحثت عن هذه الشقة، فوجدتها، فى خضم المخــاوف المتواصلة التى سببتها لها.

بيزون، إنى أحبك.

باريس، آذار نيسان/مارس-أبريل ١٩٦٧.

المؤلف فى سطور :

أرتور أداموف

ولد فى ٢٣ آب ١٩٠٨ فى كيسلوفوتسك (kislovotsk) فى منطقة القوقاز. كانت عائلته تمتلك آبار بترول فى (باكو)، ونتيجة الإفلاس الذى حل بها بسبب الثورة البلشفية، هاجر أداموف وعائلته إلى سويسرا ثم إلى (ريناني)، ثم إلى باريس فى عام ١٩٢٤.

خالط الشاب أداموف الأوساط السوريالية، نشر القصائد، عقد صداقة مع (أنتوان أرتو)، كما نهل من سترينبدبرغ وكافكا وفرويد، ومن التعبيرية الألمانية.

وخلال الحرب العالمية الثانية، قضى أداموف فترة سجن فى معسكرات الاعتقال فى (أرجوليس) و(ريفيسالت). ومنذ إطلاق سراحه انكب على كتابة المسرح. حاول أن يقوم بعملية تجسيد كوابيسه الشخصية و كوابيس عصره فى مسرحياته.

فى عام ١٩٤٦ نشر أداموف "*الاعتراف*" (l'aveu). أما أولى مسرحياته (المحاكاة) و(الغزو) فقد نشرت فى عام ١٩٥٠. وفى العام نفسه قام (جان مارى سيرو) بإخراج مسرحية (المناورة الصغيرة و المناورة الكبيرة) فى مسرح (نوكتامبول)، وقدم (جان فيلار) مسرحية (الغزو) فى مسرح (استوديو الشانزليزيه) .

يمكننا أن نذكر من أهم أعمال أداموف المسرحية :
(باولو باولى)، (لعبة كرة الطاولة)، (ربيع ٧١)
و(لو يرجع الصيف).

المترجم في سطور :

الدكتورة زبيدة القاضى

دكتوراه فى الأدب الحديث من فرنسا عام ١٩٩٢.

أستاذة النقد الحديث والأدب المقارن فى جامعة حلب – سوريا .

عضو المجلس الأعلى للفنون والآداب والعلوم الاجتماعية – لجنة المسرح فى سوريا .

عضو جمعية الأدب المقارن فى القاهرة – مصر .

ترجمت العديد من الكتب من الفرنسية إلى العربية ، ومنها :

ذرائع " لـ أندريه جيد ، منشورات وزارة الثقافة ، دمشق ، ٢٠٠٢ ، سوريا " .

حلب عبر العصور ، جورج بلوا دو روترو ، دار الإنماء الحضارى ، دمشق ، ٢٠٠٣ ، سوريا .

قيد الطباعة: " الانتقال المجازى من الصورة إلى التخييل " جيرار جونيت ، وزارة الثقافة دمشق .

شاركت فى العديد من المؤتمرات فى سوريا ، والأردن ، ومصر، والجزائر ، وتونس ، وفرنسا ، وكندا .

المراجع فى سطور :

صفوان صفر

شاعر وكاتب مسرحى ومترجم .

صدر له ديوان شعر بعنوان :" الذى يبدأ منى " ، دار الجليل ، دمشق ، عام ١٩٨٦ .

" مسرحية " رقصة بافارية فى حركة واحدة " وزارة الثقافة ، دمشق ، عام ٢٠٠٠ .

مسرحية " عصفور الثلج " ، وزارة الثقافة ، دمشق ٢٠٠١ .

ترجمة : " مشاهد من الحياة الزوجية " إنجمار برجمان ، وزارة الثقافة ، المؤسسة العامة للسينما ، دمشق ٢٠٠٦ .

تحت الطبع : مجموعة مسرحيات لأداموف ، وزارة الثقافة فى دمشق ، سوريا .

التصحيح اللغــوى : رجب الصاوى
الإشـــــراف الفنى : حسن كامل